

هذه فهرسة ما فى النصف الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب
والفصول المعترف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف
اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على اى باب من الابواب
أو فصل من الفصول فى اى صحيفة من صحائف هذا النصف

## *(فهرسة الجزء الاول من المستطرف)*

صحيفة

٦ الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول
٦ الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه
٧ الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها
١٠ الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها
١٣ الفصل الرابع فى الصوم وفضله الخ
١٤ الفصل الخامس فى الحج وفضله
١٥ الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك
٢٠ الباب الثالث فى القرآن وفضله الخ
٢٣ الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم
٢٩ الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك
٣٣ الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول
٣٣ الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم
٣٤ الفصل الثانى فى أمثال العرب
٣٥ الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين
٣٦ الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم الخ
٤٢ الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء الخ
٥٠ الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه فصول
٥٠ الفصل الاول فى البيان والبلاغة
٥١ الفصل الثانى فى الفصاحة
٥٨ الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال
٦٧ ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٧١ الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة الخ
٧٤ الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء الخ
٧٥ فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٨٠ الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى الخ وفيه فصول
٨٠ الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى
٨٤ الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
٨٨ الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل
٩٠ الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب
٩٥ الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك
١٠٠ الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان الخ وفيه فصول

صحيفه

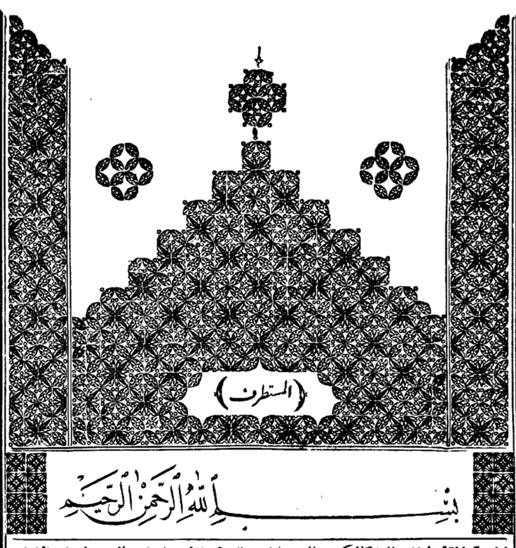

| صحيفه | |
|---|---|
| ١٠٠ | الفصل الاول فى الصمت وصون اللسان |
| ١٠٢ | الفصل الثانى فى تحريم الغيبة |
| ١٠٣ | الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة |
| ١٠٧ | الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان الخ |
| ١٠٩ | الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته |
| ١١١ | الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك |
| ١١٣ | الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية وما فيهما من الغرر والخطر |
| ١١٨ | الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء الخ وفيه فصول |
| ١١٨ | الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم |
| ١٢٠ | الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون |
| ١٢٢ | الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء فى الرياء ونحو ذلك |
| ١٢٣ | الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك |
| ١٢٦ | الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه الخ |
| ١٣١ | الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان |
| ١٣١ | الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الخ |
| ١٣٤ | الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة |
| ١٣٦ | الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف الخ |
| ١٣٩ | الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها |
| ١٤٣ | الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك |
| ١٥١ | الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان |
| ١٥١ | الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم |
| ١٥٢ | الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين |
| ١٥٣ | الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان |
| ١٥٤ | الفصل الاول فى الحياء |
| ١٥٤ | الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح |
| ١٥٥ | الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك |
| ١٥٦ | الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت |
| ١٦٢ | الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة |
| ١٦٤ | الباب الثلاثون فى الخير والصلاح الخ |
| ١٧٥ | الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم |
| ١٨٥ | الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار الخ |

صحيفة


| | |
|---|---|
| ١٨٧ | الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم الخ |
| ٢٠٤ | الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء الخ |
| ٢١٠ | الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة الخ |
| ٢٢٢ | الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح الخ |
| ٢٣٤ | الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم |
| ٢٤٤ | الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه |
| ٢٤٦ | الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة الخ وفيه فصول |
| ٢٤٦ | الفصل الاول فى الغدر والخيانة |
| ٢٤٩ | الفصل الثانى فى السرقة والسراق |
| ٢٥٠ | الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء |
| ٢٥٢ | الفصل الرابع فى الحسد |
| ٢٥٤ | الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان |
| ٢٥٤ | الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس |
| ٢٥٥ | الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها |
| ٢٦٠ | الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم الخ |
| ٢٧٠ | الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول |
| ٢٧٠ | الفصل الاول فى المدح والثناء |
| ٢٧٨ | الفصل الثانى فى شكر النعمة |
| ٢٨١ | الفصل الثالث فى المكافأة |


تمت

الجزء الاول من كتاب المستطرف في كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد العالم
العلامة اللوذعي الفهامة الشيخ
شهاب الدين أحمد الابشيهي
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير * (أما بعد) * فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا المجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف في كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة

واودعته

وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ماتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بالفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذي فيه جوهر * على غير تأليف فما الدر فاخر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لي مارمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى في بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل في تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله المهون للصعاب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمته وما اعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) في الآداب والحكم وما اشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر) في ذكر الحجاب والولاية ومافيها من الغرور والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم ومايتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير

ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج واحكام اهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما اشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما اشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد وأحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) فى الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) فى الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما أشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) فى ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء فى التختم (الباب الثامن والاربعون) فى الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها (الباب الخمسون) فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة

بدار

بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) فى العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) فى شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) فى أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) فى خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الخلفاء (الباب السبعون) فى ذكر القينات والاغانى (الباب الحادى والسبعون) فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يمدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث

والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

## *(الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول)*

(الفصل الاول) في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ندله أزلي قائم أبدي دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقيته لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار في دار القرار على ما دلت عليه الآيات والاخبار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وما من حركة وسكون الا وله في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على انه الواحد
ولله في كل تحريكة * وتسكينة في الورى شاهد

(وقال غيره)

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن

ربيعة

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن أنثى لو تطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثاني) في الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة ما هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي اوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب

عارضاه فى الاسلام وما أكمل الله تعالى صلاة قبل و كيف ذلك قال لايتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لاتفوت احداصلاة فى جماعة الابذنب وكانت رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذى النون المصرى فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقى كأنه جسد لاروح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود كذب من ادعى محبتى واذا جن عليه الليل نام عنى أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

وكان سيدى الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريرى رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

ياايها الراقد كم ترقد * قم ياحبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدى أويس القرنى لاينام ليله ويقول مابال الملائكة لايفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة ويقول هى رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول ياأيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما مااجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل اثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلى فى بيته يقول لاهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير فى المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه فى الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن فى ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعى شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال ياابن أخى لك

ولاصحابك

ولاصحابك لا للعمال ين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطاه من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتني صلاة الجماعة مرة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وأنشد بعضهم

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه * اضحى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم اعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ومما يحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شيء من فضل السواك والاذان أما السواك فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما في السواك لباتت مع الرجل في لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها والاختيار في السواك أن يكون بعود الاراك ويجزي بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوي به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب

يقول عند السواك اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لاشديد اليبوسة ولاشديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل في قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لايسمع التأذين رواه البخاري ومسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

*(الفصل الثالث في الزكاة وفضلها)* قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة في مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماحبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماخالطت الزكاة مالا قط الا أهلكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مايزكي ولم يزك ومن كان عنده مايحج ولم يحج سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت * ولنلحق بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وماجاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة في ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفي صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مانقص مال من صدقة أو قال مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا وماتواضع عبد الارفعه الله تعالى ودخلت امرأة شلاء على عائشة رضي الله عنها فقالت كان ابي يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن أمي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت

منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوقي ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين
ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها
في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت
يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضر فقال لها
هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما
همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك
مرارا وكلما افرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال
يارسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر
امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه
نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد
وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا
ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين وقال النخعي كانوا يرون أن الرجل
الظلوم اذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويمثل قائما بين
يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل
رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف
محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله
وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما
ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة
تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم
انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء
الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع
ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر
رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع
الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع
ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله
كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد
أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب
أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به
فان لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو اخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل وجعل

ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصى يده فأخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال اين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جالس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول أن رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له الا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها النجاة ولدك

وسلامة مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته ومامعه فنادى فى تلك الساعة منادفى البحر ألا ان الفداء مقبول و زيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول و زيد مغاث وجاء نا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين * والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ما سعى والله أعلم

*(الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب)* قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر و روى فى صحيح النسائى عنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين و روى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره و روى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة و بنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى و روى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن

ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقد يكفيني في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس في الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات اجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لقيتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق باستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا

الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه وروى الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضي الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم * وحج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لاستحي من ربي أن ألقاه ولم امش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشده عمرو بن حيان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كان الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

(وقال غيره)

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

(وقال آخر)

حج في الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأنا نامن الجا * ز كما راح محرما
فهو ذو الحجة الذي * ما توقى محرما

وتخاصم بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له اتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

(وقال أبو الشمقمق)

اذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

## *(الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك)*

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضيء

خلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسايط والمحسوسات بالمشاهدة * واعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما * فاما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء * وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف اقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية اشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته واكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على مانقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ماهو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه ومايصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته

فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا او يورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع اهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول ابى حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل ويقال لا اشرف الاشرف العقل ولا غنى الاغنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشئ مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لا يضع

التي مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان أربعة تؤدي الى اربعة العقل الى الرياسة والرأي الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من اعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال اهل مصر اعقل الناس صغارا وأرجحهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم ايما احمد في الصبا الحياء ام الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنفل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا (وحكى) بعض اهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من اعاديها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الاحين اعصيها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلاته ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من اكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع

التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا اراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت بذلك احدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الي قال لا قال انصرف واكتم امرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي اموال كثيرة ورأيت ان أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس اتحاكم انا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد اخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما ابصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على اهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لايزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء *(واما ذم الحمق) فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة اعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لأن مخرجها من الدماغ فمن افرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو احمق واما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال افحش وان سئل بخل وان سأل ألح

وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها فى كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعيانى والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) ان احمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمنّ على الله فانّ الطريق تقطع بالحديث فقال احدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدّثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل يتعبد فى صومعة فامطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى فى ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فاوحى الله اليه لاتدع عليه فانى أجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الاما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هندا بنت عتبة لحمقته فقال

وماهو جى ياهند الاسجية * أجرلها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولا طمت فى البطحاء من كل طارق

ويقال للابله السليم القلب هو من بقر الجنة لاينطح ولايرمح والاحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم)*

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لاشئ أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبى الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز

وجل ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لي أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فاذن في اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة اهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف * وكان ابو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان في رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا أوتي افضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه ولعن اباه اذا نشر المصحف اغمي عليه ويقول هو كلام ربي وابطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا
ثم قال هذا سالم مولى ابى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى امتى مثله وقال ابن عيينة رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراآت فعلى
قراءة من تامرنى فقال على قراءة ابى عمرو * وعن ابى عمرو انى لم ازل اطلب ان اقرأه كما قرأه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما انزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن
قرأ على الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فقرأت عليهم فاشدد بها يدك فينبغى للانسان ان يحافظ
على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله
فى كتابه الاذكار قد كان للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه
فكانت جماعة منهم يختمون فى كل شهر ختمة وآخرون فى كل عشر ليال ختمة وآخرون فى
كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون فى كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة فى كل يوم وليلة
ختمتين وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا فى الليل واربعا فى النهار وروى ان
مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن فى شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء واما الذين ختموا
القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير
رضى الله تعالى عنهم وروينا فى مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابى
محمد الدارمى رحمه الله عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن اول
الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى
قال الدارمى هذا حديث حسن عن سعد وافضل القراءة ما كان فى الصلاة وأما فى غير الصلاة
فافضلها قراءة الليل والنصف الاخير افضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة
واما قراءة النهار فافضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة فى وقت من الاوقات ولا فى اوقات النهى
عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم
القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا
شديدا ويجب على القارئ الاخلاص فى قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وان لا يقصد بها
توصلا الى شئ سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن ويستحضر فى ذهنه انه يناجى ربه سبحانه
وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغى
للقارئ اذا أراد القراءة ان ينظف فمه بالسواك وان يكون شانه الخشوع والتدبر والخضوع
فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتتيسر المرغوب ودلائله أكثر من ان
تحصر واشهر من ان تذكر وقد كان الواحد من السلف رضى الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة
كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة
العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم
الخواص رضى الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام
الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة
وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من

يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط ان لايؤذى غيره من مصل اونائم اوغيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن اراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ماذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم)*

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر والغدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله

عنهم العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبي عن مسئلة فقال لاعلم لي بها فقيل له ألا تستحيي فقال ولم استحيي مما لم تستحي الملائكة منه حين قالت لاعلم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال علي كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
* الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبي وأمي ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة في أحكامهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك امتي في شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه في دينه وكرّرها عليه فقال يا رسول الله أسالك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل * وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عدّ في الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم * وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة امة

وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل وقال الثوري كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا انفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فأعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن كل الاحسان كأنما طرزت في خلع حسان

شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا رأى طالبي العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شيء أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

قال الشعبي دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألني عن اسمي فأخبرته ثم قال يا شعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الي فيها المنتهى قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لي أموالا وسودني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت

وأنا سيدهم قال البستي

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضى الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وقال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال على رضى الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض واصالح اللخمى

شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فأخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يسمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون فى شئ الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فأنشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأرشدنى الى ترك المعاصى
وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قيل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى فى الحفظ يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى ياقيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا ان يفوتنى منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت أديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال

البخاري رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر شعر

لا تدخر غير العلو * م فانها نعم الذخائر

فالمرء لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال

فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يا رب وأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يا رب وأين ذلك المرج قال في علم من علمي لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يا رسول الله

أين ابليس منهم قال ماعلموا ابابليس خلق أم لا قال أمن بنى آدم قال ماعلموا با آدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدّه الله فى علم غيبه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وقال الحكما أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وانما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدّى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل اربعة يسوّدن العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم اجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبنى زىّ الفتى وجماله * فيسقط من عينىّ ساعة يلحن

ودخل اعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم ابو موسى بعض قوّاده فلحن فقال لم لا تنظر فى العربية فقال بلغنى ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال ابو الاسود الدؤلى اذا اردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدرى بأنك جاهل * ومن لى بان تدرى بأنك لا تدرى

وقال رجل للحسن انا افصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة ابو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه اباالحكم فقال حسان رضى الله عنه

الناس كنوه اباحكم * والله كناه اباجهل

(واما ما جاء فى الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادّة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب فى المجلس انيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ماحاولوا وقيل عقل بلا ادب كشجاع بلاسلاح (وحكى) ان رجلا تكلم

بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من انت قال ابن الادب يا امير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما انا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضله لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من ادبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن ادب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحوضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسوّد العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

## *(الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك)*

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسطه

الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه اوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لايغرنك صحة نفسك وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من اطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لاينفع كدواء لاينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لايعود اليك ويوم أنت فيه لايدوم عليك ويوم مستقبل لاتدرى ما حاله ولاتعرف من أهله من كثرا بتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لاتبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لايجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة احسنهم لقاء لايكمل للانسان دينه حتى يكون فيه اربع خصال يقطع رجاءه مما فى ايدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بوعد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروأة قيل لافلاطون ما الشىء الذى لايحسن ان يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه اربعة تؤدى الى اربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره اهلكه جده العز ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم اسد الآراء والغفلة اضر الاعداء من قعد عن حيلته اقامته الشدائد ومن نام عن عدوه ايقظته المكايد من قرب السفلة واطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند اربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه واعرض عما لايعنيه وكف عن عرض اخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكرمه الشئ ومن اكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من اذل جيرانه ولاسعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال اولى الناس بالنوال ازهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره

واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام امن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه
من انكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط
اجره من رضي من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في هبته بالغ في خسته
من رقي في درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه
ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد في جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال
من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما اخذ من الحلال وصرف في النوال
وشر المال ما اخذ من الحرام وصرف في الآثام افضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام
المروأة ان تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من
أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى اودائه لاتسئ
الى من احسن اليك ولا تعن على من انعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه
من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظالم ويخذل المظلوم من
حفر حفيرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد في رأسه من لم يرحم
العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من يذهلك خوفه ويملكك
سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح
الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا
من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته
عظمت خطيئته اياك والبغي فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة أقسام
منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه
استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقي
ومن تركه استحسانا فهو دني من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد
ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأني مصيب وان هلك من امارات
الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق
من نظر في العواقب سلم من النوائب ومن اسرع في الجواب اخطأ في الصواب من
ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ما شاء لقي ما ساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده
القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل
قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت
الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة
صغر عن الرياسة لا تشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل
لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من افشى سره افسد امره
الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح
بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك
لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شئ يفر

من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية
تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب
متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر
حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم
البالية اذا ملك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت
خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف
قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انهتكت حجب
أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة
ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر
على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته
نقصت مروأته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت فى دولة
وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة الناس هى
العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر
ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح
يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب
شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير من
التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة
حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه
أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل
الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر وأة أخيك لما يعلم
فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان
قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر
صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك
لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فاحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك
معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن
على ذى خطا خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا
لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب
المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى
يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير

توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فأقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل اصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

## *(الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول)*

*(الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم)* اعلم ان الامثال من أشرف ماوصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا واكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدالنا سامكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين مايشتهون لكل نبإ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ماعلى الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ماعلى المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ففررت منكم

لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا ان الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شان فبأى حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هى الا فتنتك فاعتبروا يا أولى الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوى انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك ظالما او مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر ان يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

*(الفصل الثانى فى أمثال العرب)* ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء موكل بالمنطق ان أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك أنف فى السماء واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد اى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم اياك أعنى فاسمعى يا جارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المنا كح خيرها الابكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك ان تضرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروأة خلف الوعد اذا قات له زن طار أرسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة انق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق

ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها رمتنى بدائها وانسلت رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع ادى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من اهدى الى عيوبى ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة اطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء او يهان عند النازلة تعرف أخاك فى القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام لقد أسمعت لو ناديت حيا أقلل طعامك تحمد منامك كل فتاة بابيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ فى بيته صبى كلب جوال خير من أسد رابض * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة * لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتنِ من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادى أظلم ياحبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس واسته عارية يداك منك وان كانت شلاء

*(الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين)* التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وبجر اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحى ترجع المؤذى ردى كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله فى ارضه السلام احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلى على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة أنشط من اير دخل نصفه البغل الهرم

لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لاقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لا سفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع لقاعد زكاة البدن العلل زلق الجار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فر من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فى كل قليلا تعش كثيرا كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانه كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندانا فصرت مطرقة كل ما فاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صفعة ما وجدت الا فى قفاه لو كان فى اليوم خير ما فات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

*(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)*

(حرف الالف)

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنا * فابعدكن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فأى مكان من مكانك ألطف
اذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف ينفعه
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فانت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر
اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق
ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر
اذا ضاع شئ بين أم و بنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما او أصابك جاهل
اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرائد
اهن عامرا تكرم عليه فانما * اخو عامر من مسه بهوان
اذا محاسني اللاتي اتيت بها * عدت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فايسر ما يمر به الوحول
الم تر ان المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره
اذا انت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك ابعدت الدواء عن السقم
اذا انت حملت الخؤن امانة * فانك قد اسندتها شر مسند
اكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل
اذا انت عبت المرء ثم اتيته * فانت ومن تزرى عليه سواء
اسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مساءة ومسرة ومحاسن
الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر ابقى لها
ايا دارهم ما كنت انت بدارهم * ولا انا مذ سار الركاب بهم انا
اقلب طرفي لا ارى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

*(حرف الباء الموحدة)*

بنا فوق ما نشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بني عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

*(حرف التاء المثناة الفوقية)*

تحن اليه افئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من اتاها * وأنت سننتها للناس قبلي

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
تفرقت الظباء على خراش * ومايدرى خراش مايصيد
تجتلى الاذن منه احسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

*(حرف الجيم)*

جن له الدهر فنال الغنى * آملس اغفله الدهر
جربت اهلى واهليه فما تركت * لى التجارب فى ودّ امرئ غرضا

*(حرف الحاء المهملة)*

حيالك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحيالك انسان

*(حرف الخاء المعجمة)*

خفض الجأش واصبرنّ رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت
خليلى انّ الحب صعب مراسه * وانّ عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * انّ الجلوس مع العيال قبيح
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب
خن من أمنت ولاتركن الى أحد * فانصحتك الا بعد تجريبى

*(حرف الدال المهملة)*

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
دعنى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

*(حرف الذال المعجمة)*

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاء منعم

*(حرف الراء)*

رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردّوا على صحائفا سوّدتها * فيكم بلاحق ولا استحقاق
رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر مافيه رضا صاحب الامر
رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

*(حرف الزاى)*

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

*(حرف السين المهملة)*

سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد
ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم اننى نعم الصديق

*(حرف الشين المعجمة)*

شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى ردّ الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بانى بعد الخبر لاشك شاكر

(حرف الصاد المهملة)

صح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد

طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

(حرف الظاء المشالة)

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار

ظلمت امرأ كافته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الاغرائزا

(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أنت فاعطا * ك المحل الجليل من سلطانه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

(حرف الغين المعجمة)

غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لابه

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

(حرف الفاء)

فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا

فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

فصبر جميل ان فى اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره

فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب

فلو كان حمدا يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

(حرف القاف)

قد يجمع المال غيره آكله * ويأكل المال غير من جمعه

قد زال ملك سليمان فما وده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف)

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجر اللمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فاين الفرار
كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كأنك من كل النفوس مركب * فانت الى كل الانام حبيب
كالكلب ان جاع لم يعدمك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

(حرف اللام)

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمرى ماضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لوأن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لوكان مابى فى صخر لاتحله * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم فى النائبات أقاربه

(حرف الميم)

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما كان فى الخدع من أمركم * فانه فى المسجد الجامع
ماقام عمرو فى الولا * ية قائما حتى قعد

(حرف النون)

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالابد من شربه
ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ماصنعت يداه

(حرف الهاء)

هناكم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ما قد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال
هنيألمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

*(حرف الواو)*

ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوّابا بباب الاحمق
ولا يغرنك طول الحلم مني * فما أبدا تصادفني حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل
وما للمرء خير في حياة * اذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأي الذي لا يأمن الدهر اقتدي
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أي مطرح
ولم يمنع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام
وأحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزي بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثنايا فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائي أن اعود مملكا * فصار رجائي ان أعود مسلما
وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا اتضعضع
ولا بد من شكوى الى ذي مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وهوّن حزني عن خليلي أنني * اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه
ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

*(حرف اللام ألف)*

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار
لا تسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر
لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
لا يبالي الشتم عرض * كله شتم وذم *

لاتنظرنّ الى امرئ ماأصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء فى أرض يهان بها * الامن العجز أومن قلة الحيل
لايقبلون الشكر مالم ينعموا * نعما يكون لها الثناء تبيعا
لاأسال الناس عمافى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

*(حرف الياء المثناة التحتية)*

يفرّ من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
يهم بهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام
يفارقنى من لاأطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لاأريده
يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى
يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماصارت الغربان فى سعف النخل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول
يغرّ الفتى مرّ الليالى سليمة * وهن به عما قليل غوائر
يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم
يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

*(الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)*

*(حرف الالف)*

ان كنت ماتعمل جميل اعمل كمايعمل معك * اذا أبغضك جارك حوّل باب دارك * اذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله * المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى * ألف ذقن ولاسلام عليكم * ألف ذقن ولاذقنى * اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله * اذا وصلت وسلم الله بع بماقسم الله * اذا كنت أعمى واطروش شم رائحة النقوش * اذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والنقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون الحال * اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعه والنعش مكسر اعلم أن الميت من أهل سقر والوادى الاحمر * ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تفريق للحاضرين وتفريق للملائكة * القشر والنعر والعشا خبيزه * أكل الدقه والنوم فى الازقه ولادجاجه محمره يعقبها مشقه * ايش أنت فى الحاره يامخل بلاطاره * الرجم بالطوب ولاالهروب * اذا وقعت يافصيح لاتصيح * أقرع يقول لاقرع امشى بناتزرع فى بركة القرعان ايش ماطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الاخر لك ولى * العدو مايبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب * اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير * أى موضع راح الحزين يلقى جنازه * قال الشاعر

ان دام هذا السير يامسعود * لاجمل يبقى ولاقعود

غيره

اذا لم تكن لهو الزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللى

غيره

اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان أدبرت كادت تقدّ السلاسل

*(حرف الباء الموحدة)*

بينما يتروى الخبيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعتر فرغ عمره * بينما أصل قبوه نسيت همه * بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله * بينما يخلص ربنا حق انفرقعت جوزة حلق * بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد * بينما يجي الدرياق من العراق يكون الملسوع مات * بين حانه وبانه حلقت لحانه * بدوى مقروح لقى التمر مطروح اين يخلى ويروح * بدال الحتك وقلقاسك هات للشد على راسك * بدال اللحمه والباذنجان هات للشقص يا عريان * بدال الحتك التلاته هات للشد يا شماته * بقى للكلب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه * بقى للخرا مراو يحلف بالطلاق * بعد الجوع والقله بقى للشحار وبغله

*(حرف التاء المثناة فوق)*

تموت الحدادى وعينها فى الصيد * تعالوا بنا نقتبح ونرجع غدا نصطلح * تدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش أنت قال له بزم قردش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل ولا زعفران البطالة * تسكر وتخانق ماهو شئ موافق * تجارة الاحمق على أهل بيته * تضارب الريح مع الموج جا الهم على الفواتيه * تزاوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

*(حرف الثاء المثلثة)*

ثوب العيرة مايدفى * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوا وأغمى عليه قال حتى يطلع شئ يرشوه عليه * ثور عاجز مايدور رساقيه * ثقيل من أولاد الزنا مر العنا * ثوب عليه وثوب على الوتد قال انا اليوم أحسن من كل من فى البلد

*(حرف الجيم)*

جور القط ولا عدل الفار * جمل موضع جمل يبرك * جهل المقل دموعه * جمل بحبه قال وأين المحبه * جبت اصطادصادونى * جارله حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه * جارك مر آك ان لم ينظهر وجهك نظر قفاك * جا كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله * جا كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها * جوزوها ماله الا له * جوزوا اصشكاح لريمه ما على الاثنين قيمه

*(حرف الحاء المهملة)*

حاجة لاتهمك وصى عليها زوج أمك * حول حبيبى ماعونه وقدرته مع كانونه * حمار حمكوه بالموت على باب الغيط يموت * حلبنا القلوع وارسينا وأصبحنا على ما أمسينا * حب وواري واكره وداري * حدثنى ونصحنى عايرنى وترحنى * حط فلسا تك فى كمك واشترى أبوك وأمك * حبة قرض تخرب أرض

*(حرف الخاء المعجمة)*

خديق وارغى فيه انا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه

* خبثت لى وصلحت لك * خذ ذا الصبى فوق صبيانك تمام لاحزانك * خزينة فى حجره وملحه فى صره * خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

*(حرف الدال المهملة)*

دار الظالم خراب ولو بعد حين * درهم لك ودرهم عليك لالك ولا عليك * دواء مالا اشتهى النفوس تعجيل الفراق

*(حرف الذال المعجمة)*

ذا درب مابسد دريح * ذى ماهى رمانة الاقلوب ملانه * ذالى وذا ايدى عليه * ذى مايده مايقعد عليها طفيلى * ذا الخبز ماهو من ذا العجين * الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه * ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها * ذكروا المدن جات القرى تحجل

*(حرف الراء المهملة)*

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه * رأوا حجار راكب حيط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لايشرق ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غنى تشاكل روحك * رأوا شيخا يتهجى قالوا يختم على الصراط * رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفقيه الاذى البلطيه * رأوا على قبر مكتوب ياسعادة ساكنه قالوا ابصر من براحه * راكب بلاش وبناغش مراة الريس * ركبتك وزاى حطيت يدك فى الخرج * راح الجندى وخلى خلقه عندى * رزق الكلاب على المجانين * راسين فى عمامه مايكون * راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشيله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كانعش بفضله بين الورى
وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

*(حرف الزاى المعجمة)*

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه * زاوية بلا عيش بنيت ليش * زوج القصيره يحسبها صغيره * زوجت بنتى اقعد فى دراها جانى وأربعه وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * ويعتلى بيتى قماش
جاغزلها فى اكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور رزن على حجر مسن قال له ايش تريد قال انا الحس البولاد * زنبور رزن على فاس جحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يادندن

*(حرف السين المهملة)*

سل المجرب ولاتنس الطبيب * سمولك منصر قال فرغ رمضان * سمولك حبل قال وطوات * سمولك راح قال ان شاء الله تجى الحق * سبع وزر ولا استر قال الشاعر

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

وقال آخر

سيغني الله عن زيد وعمرو * ويأتي الله بالفرج القريب

*(حرف الشين المعجمة)*

شره وضبع وبغضب سريع * شئ ما نابه وتقطعت ثيابه * شعر يحلق وشعر ما يحلق * شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل * شمعي ولا تدعكني * شئ ما يجي على القلب عنايته صعبه * شرا العبد ولا تربيته * شخت بغله عامت زبله ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا لمقطعات النيل

*(حرف الصاد المهملة)*

صام سنه وفطر على بصله * صبرى على الحبيب ولا فقده * صاحب يضر عدو مبين * صباح القوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذى خناقه باينه * صباح الخير يا جارى أنت في دارك وأنا في دارى

*(حرف الضاد المعجمة)*

ضرب الحبيب كاكل الزبيب * ضربتين في الراس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى * ضربة على كيس غيرى كانم انى عدل حذا * ضمنوا حدايه لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذى داهيه جات على الخضريه

*(حرف الطاء المهملة)*

طارت الطيور بأرزاقها * طفيلى ويجلس في الصدر * طفيلى ويقترح * طويل الكم خطار قليل الفرح في الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طبلوا جاكم عثمان بدمن وراويد من قدام * طعامك ما جانى ودخانك أعمانى * طار طيرك وأخذه غيرك * طول ما أعيش يكفيني رعى الحشيش * طول الغيبه وجانا بالخيبه

*(حرف الظاء المعجمة)*

ظهرك عندى نصف الليل

*(حرف العين المهملة)*

عنقود مدلى في الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا باله * عاشق ما يسمع بكا صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شى ماذرع ايش جا يستغل * عزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك * عند المخاضه يبان القيلط * عند الطعان يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفى حزامه سكينه * عريان وفى كمه ميزان

*(حرف الغين المعجمة)*

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس نحسين في قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

*(حرف الفاء)*

فرجه بلا كسر تعمى البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقول هاتوا عشا من يخنى * فوق الشرا طه ملح اودانه * فارس خرا ويسوق في الوحل * فارس خرا واسمه عنتر * فارس خرا ويسابق الخيل * فردضربه في الراس تكفى * فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد

فرغت الرعانه يا جانم

*(حرف القاف)*

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هوا نا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ما ينطلى قالوا للقرد شب قال ايادى ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هوانا عنده بوجه يبسط * قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملومه ولا ايادى مفروده قالوا للدبه طرزى قالت ذى خفة ايادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ماجرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا البقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حلوا المناسف

*(حرف الكاف)*

كل من عودته باكلك كما انطرك جاع * كشكار دائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عند همى ياوى * كل شئ لا يشبه فانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجوا حدايه * كل ألف مصه ما يجوا بغصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه كملت بالجان بالشعره والصنان * كدل حبيبى كل المعانى اعرج وقبليط ومجبانى * كمل حبيبى واكمل اعرج وقبليط وأحول وفيه عادة أخرى لمن يواصل بخرا * كانه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار * كانه عصفور ينيك بلاش و يأوى فى الاعشاش

*(حرف اللام)*

* لولاك يا كمى ما أكلت يا فمى * لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى * لولا الغيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد * لولا اختك ما صرت ابن عمك * لو قلبناها بلية ماجات هكذا * لو كان فيها خير ما رماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمه بدقه ولا خروف بزقه * لقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه * لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه * لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها * لو عمل لى من الذهب وليمه هو عندى بتلك العين القديمه لو شال راسه الى السما كان عصيده عما * لو نظر الجمل لصنمه كان كدمه * لولا الكشط والبرايه ما كانت أولاد الخرا كتاب

*(حرف الميم)*

محبه بلا حبه ما تساوى حبه * ما شلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم صدره * من قدم النحس تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزيدانى فاحت عليه روايحه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يحط يده لزنده ما يعرف حره من برده * ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون * مالى على فراقكم جالد الاهجاجى من البلد * ما كفاناهم أبو نا قام أبو ناجاب أبوه قال خذوا جد كم ربوه * من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبح يروح عرضه و ينفضح * ما تنة قدوهم كلهم زغليه ما فيهم من يحجب النقاد

*(حرف النون)*

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير * نفسك أتلفت أى شئ اخلفت * نصف البلا ولا البلا كله * ناقص ونحاس * ناموسه بات على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقه * نيتك مطيتك * نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه * نيك حتى تبقى ديك

*(حرف الهاء)*

هانت الزلابيه حتى أكلها بنو وائل * هان المسك وانتثر * هدية تعرقوها تخليتها ولا لومها * هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز * هو عرس تاكل وتنسل * اهدوا اهدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هاتوا اذا الغزل المخبل لذا القاب المدبل

*(حرف الواو)*

واحد نتفه وآخر لففه وقال آخريا قريب الفرج * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال انا فى حاجتك * واحد جائز رأى قرد يجرش ترمس قال ما الذى الفا كهة البدرية الاذى الصورة القمرية * واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه * وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك * وايش قام على قومه بفصل الحكومه * وقت الشوا واليخنى ماقلت يا أخى الجفنى * ووقت ضرب الدره قلت اصفعوا اصفعى

*(حرف اللام ألف)*

لا تعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك * لا أصل شريف ولا وجه ظريف * لا أخوك ولا ابن عمك نشق ثوبك على ايش * لا عاش يليق لا حراس ولا دراس * لا عاش العار ولا بقى له دار * لا ربح ثوابه ولا خلاه لاصحابه * لا فى الفراق نجد راحه ولا فى الوصل * لا تشكرن فتى حتى تجربه * لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى * لا يضر السحاب نبح الكلاب * لا يغرك تطريفى الاصل فى ريفى

(حرف الياء)

ياشب مليح ما أحسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك * ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يموت وفى قلبه من الهم واجس * ياطارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب مانم شئ * يامن ملنا ما كان حلنا السامالنا فى العشره سنه * يهنيكم قدومه قد جا كم بشومه * ياليتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا * ياويل من كان عشيه من بيت خيه * ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك ياسوارى مثل معصمى * الذى فى قلب أم حنين تحلم به فى الليل * ان كنتى حره لا تضيعى نقابك بره * ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانفرى * ان كانت الدايه أحن من الوالده قال ذى داهيه عباره * الكلام لك ياجاره الا انتى حماره * ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينفع النفخ فى الوجه الاصم * أرمله

عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى * اسم الزوج ولا طعم الترمل * العاقلة فينا تزنى يقطينا * اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى * استعارت الرعنه شى حسبته لها اخذت المقص ودارته لها * اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

*(حرف الباء الموحدة)*

بعد أن كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك * بعد سنه وشهرين جابت بنت بشفرين * بعد ان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها * بعد مشيك فى الحافه بقى للسلام وغرفه واسعك ستيته * بعد أمى وأختى الكل جيرانى * بينما تتنقب الدوله انصرف القاضى * بنت الخراتزف لابن الخرابدف * باتت ناموسه على جبزه قالت صبحك الله بالخير قال مين درى بك قبله * بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقعى فردة خفك * بخرا وتزاحم بالبوس * بقى لام سيدى برقع وللضفدعة زماره * بعد مشيك فى الحلافى ابستى الصافى * بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

*(حرف التاء)*

تابت القحبه يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام * تضاربت المجنونه والحمقا حسبتها الرعنه من حقا * تضارب وتتعرى وتصيح باقلة رجالى * تأخذوا أبونا وتكابرونا * ترتانه وبيانه ومفاتيح الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت اختها * تخلونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذا فى قلبك خذيه بلا استحلال * تتغمى بالخرج ولا تخلى الغنج * تقعد عيوشه فى دارتها مالاحد حاجة فى زيارتها

*(حرف الثاء)*

ثوب سيدى ثوب حبيبى * ثوب ستى ثوب قحبه

*(حرف الجيم)*

جاره بجاره والعداوه خساره * جانى عذولى ورثالى ماهى محبة الا شماته لى * جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه * جاتنا العدوه مكحله قطران لا غيره وقلبها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم بلا صابونه معهم

*(حرف الحاء المهملة)*

حوله وتتنقب بخ * حزانى ماعندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق * حزانى ماعندهم خبز اشتروا لهم بعشره ملوخيه * حزينه وواعيه * حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دوا للحبل * حوله ونصرانيه لا مليحه ولا أصل طيب * حزينه مالها مملوك سمت زنبورها خوشكادم * حزينه مالها ملك اكثرت لها ابواب * حزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

*(حرف الخاء المعجمة)*

خطبوها اتعززت وكان زمان البوار * خات زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب * خذى قطيفه واكتمى سرى قالت مايطاوعنى قلبى * خات مايعنيها واتبعت حك رجليها

*(حرف الدال المهملة)*

دري زوجك بكنيتك تمي نهارك مع ليلتك * دقمن أسفل ولاتطلع مالاتت على القلب

*(حرف الذال المعجمة)*

ذكرت العجوز اطلالها

*(حرف الراء)*

رقصتي ما احسنتي كان قعادك اجمل * رعنا يضحكوا بها وهى تضحك تساعدهم * رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ماالذا الشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع * راحت تبيع ربعه غابت جمعه * راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة * راحت رجال العمو القلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسقاس * رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ماالذى الصيفه الاذا الحمار الازعر

*(حرف الزاى)*

زمر بالزعيرة تبان لك العاقلة من المجنونة * زوجي ما حكم على قاملي عشيق بشمعه * زوجوا بنت نشادري لسر باقي قالوا قليلات انظر اتندحرج لبعضها

*(حرف السين المهملة)*

سودا وتنقش بسباخ * سودا منقبة تقفل على خزانة * سالوها عن أبيها قالت جدى شعيب

*(حرف الشين المعجمة)*

شفتي قرطاسك من عند موسه قالوا اداشي مافرحتي به وانتى عروسه * شامته ومعزيه

*(حرف الصاد المهملة)*

صارت القحبة واعظه * صارت القويقه شاعره

*(حرف الضاد المعجمة)*

ضحك ابن سنه عمي على امه قالت ملاخف دمه

*(حرف الطاء المهملة)*

طلعت ترحم نزلت تتوحم

*(حرف الظاء المعجمة)*

ظريفة وعفيفه ولها نفس شريفه

*(حرف العين المهملة)*

عميا تحفف مجنونه وتقول حواجبك سوده مقرونه * عاقلة وجابت طفله وجاتم اخطار واشتروا لها قلقاس دكر وحطب اخضر في نهار مطر وقالوا لها اطبخي على قدر لحمه تقع الصلحه * عجوزه وجابت غلام اذا جنت لاتلام * عجوزه ونخرفانه دي داهيه كانه

*(حرف الغين المعجمة)*

غيرك يقوم مقامك عليش قلبي أعذبه

*(حرف الفاء)*

فرحت حزينه خربت مدينه

*(حرف القاف)*

قالوا المغانى اتزوقوا قلبوا اعصابيهم * تحبـه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوا دى تحبـه تطلب الثواب

*(حرف الكاف)*

كل من تبعت هواها صارت سراويلها ردا ها * كبرتى يابرقوقه وبقى لك دبوقه * كانوا امغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كاهى * كلى قليه وباقى هنيه * كانها من الباسطيه قماش على جريده * كانها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر * كانها من عمايم اليهود صفرا طويله رفيعه * كانها من بيت الوالى مايتحدث فيها سوى الحاشيه * كانها اضبة جعيدى مخلوعه ولاتاخذ شى

*(حرف اللام)*

لو كان ماينقش الاالسمان بارت المواشط من زمان * للساعه ماحبلت جابت المرسين * لولا المعاير ما كانت الحراير

*(حرف الميم)*

ماشطه وتمشط بنتها * من افتكرنا ياما صمينا ما نسينا

*(حرف النون)*

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير

*(حرف الهاء)*

هش يا دبانه أنا حبلى من مولانا *

*(حرف الواو)*

وجه لايرى بالذهب يشترى

*(حرف اللام ألف)*

لاانتى مليحه ولاتغنى بايش تدلى

*(حرف الياء)*

يعيش المدلل بلامكلل * ياغزالة الافكار اين كنتى بالنهار * ياماتحت النقاب والشعريه من كل بليه * يامن ملنا ما كان حالنا * للساعه مالنا فى العشره سنه

(الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول)

*(الفصل الاول فى البيان والبلاغة)* اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم ايمان علينا بالغة اى وثيقة كانها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى * وقيل

ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولو لم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة * وقال البحترى خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عندك نعترف

مهلا لى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقال له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك امك انما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامالى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا * وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

*(الفصل الثانى فى الفصاحة)* قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك اي فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا * فقالت * حيث أنشاك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد احسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما أن الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قال لي المجنون أجزني هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المعاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت احدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول اجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بتيقظ ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله * ومنه ما حكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شئ فقال لا وايد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو واحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو احسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

حيوان صغير في يجود بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * بصالة بحجة وجواب

وقيل انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان

أن ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقال لابارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة وكان أصحاب أبي علي الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقته ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكي أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم اني لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الاصهب بأمارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء اي أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب اي الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا اي ان أخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا وأسرت طيئ غلاما من العرب فقدم ابوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال ابوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيئ ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد اعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا وكانت علية بنت المهدي تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم ترك فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت اي يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال ما رأيت فلانا اي ما ضربت رئته في رئته ولا كلمته اي ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر

والمصلى الذى يجيء بعد السابق وما اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما اخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره اى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من اهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا امير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا امير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه فلقد لقى ربه وافرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا احنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا او كرها فقال له الاحنف يا امير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به ابدا فقال قم فاصعد قال اما والله لانصفنك فى القول والفعل قال وما انت قائل ان انصفتنى قال اصعد المنبر فأحمد الله واثنى عليه واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم اقول ايها الناس ان امير المؤمنين معاوية امرنى ان العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم اقول اللهم العن انت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا امنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا انقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا ابا بحر وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا ان تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد امرنى ان العن على بن ابى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لازدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم ودخلت امراة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك واتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم واخذت اموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم امر الله ونفذ فيهم قدره واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المراة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما اظنكم فهمتم ذلك اما قولها اقر الله عينك اى اسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واما قولها واتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

واما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) ان بعضهم دخل على عدو من النصارى فقال له اطال الله بقاءك واقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله انه ليسرنى ما يسرك فاحسن اليه وأجازه

على دعائه وأمره له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية واما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها اى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك اى جعل الله يومى الذى ادخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ما تم المتستر مراد ولا سلم له فى التخلص قياد وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صيغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا نبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الا من الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وانزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم اى اذا عزم على ظلم أو جور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته اى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه امير المؤمنين اى ليشكوا احوالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فهرب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير القاضى الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة

في الكتب فشدد ان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأ في غاية الكمال وما فهم ان وكان
قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه
بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهي الكتاب وكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل
في آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم
الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكي) أن بعض الملوك طلع يوما
الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير
الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاي هذه
زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له
يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية واتني بالجواب
فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز امره وبات ليلته فلما
اصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام
مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب
قال انا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا
فقالت اعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني انا الملك سيد زوجك
وما اظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل
في قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما احسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل ابدا * قد اكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت ايها الملك تأتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها
وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه
لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في راسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى
داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان
الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما واخذ الكتاب وسار الى
حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى
ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة
بيت ابيك قالت وماذاك قال ان الملك انعم علينا واريد ان تظهري لاهلك ذلك قالت حبا
وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت ابيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت
عند اهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا الم بها فاتى اليه اخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك وأما أن نتحاكم الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوا الى الحكم فأتى بهم وكان القاضى اذذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال اخو الصبية أيد الله ولانا قاضى القضاة انى اجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان بيئر ماء معين عامرة واشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضى قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن اريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه اثر الاسد فخفت ان يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب الحكايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المتستر فى امره من الراحة فى كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان فى المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى فى غزوة بدر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال عن القوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يرددها لينظر اى العرب يقال لهم ماء فسار النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال للكافر الذى سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهدينى السبيل وقد صدق فيما قال رضى الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول فى القرآن فقال الشافعى اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فرضى خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعى الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم على رضى الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضى الله عنه لان الضمير فى ابنته يعود الى أبى بكر رضى الله عنه وهى عائشة رضى الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير فى ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فاطمة رضى الله عنها وكانت تحت على رضى الله عنه فهذه منه حيلة حسنة وكلمة بانت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

*(الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال)* دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال احطت بما لم تحط به ثم قال الم تر ان الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود اولى ولما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد اراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه احق بالكلام منك فقال الصبي يا امير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو احق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا امير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك اما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا واما عدم الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا امير المؤمنين ان اناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وحكى) ان البادية قحطت في ايام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا ان يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء احد ان يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا امير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان اذن لي امير المؤمنين ان انشره نشرته فأعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا امير المؤمنين انه اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي ايديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادي بمائة الف دينار وله بمائة الف درهم ثم قال له ألك حاجة قال ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من اجل القوم وقيل ان ضمرة بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب امواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندي الف ناقة على انك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا ايها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم انشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجسام ان لنا * احلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا ابصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به امر فأفظعه * رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وابرم منها المحلول واجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ماتؤول وليس للدهر بصاحب من لا يتظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعد ان اقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا ومافيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه (وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هنالك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذى لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر واما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق واما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل واما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معتذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام واما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس واما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل واما البرق فمخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها السحاب واما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره واما المحو الذى

فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من اكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين واكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره ضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا واوسعهم ميدانا قال لله ابوك فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو ام غير حسيب قال اصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك ادبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها واكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله ابوك فما العاقل والجاهل قال اصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله ابوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال اصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن وافخر احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن انتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فما انت قائل له قال اصلح الله الامير اقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى اظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت جلاجلك يجلجل فى قصرى هذا قال كلا اصلح الله الامير سأحدد له لسانى واجريه فى ميدانى قال فعند ذلك امره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه اى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغده قبل ان يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ

شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا أعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة اكبر من هذه واعظم قال أيتهن تعني قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه امنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال بالله من اين انت قال من الارض قال فأين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي ان ادخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ انت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حروريا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني اظنك والرحمن شيطانا
اتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال اصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم اقل لك كأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك

ولا تبق لك وما أنت لها باق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا امير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك اتأذن له فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاور النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين فى الضياع التى افادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين الراشدين وقد قت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد انبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الارحام وقدمنا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين اتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد

هم الصدر المقدم من قريش * وانت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وارجو ان يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وامر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وامر بردّ ضياعه وقرب منزلته وادناه ودفع اليه من المال ما اغناه ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكى ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته فقال ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علىّ ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال انا لها يا امير المؤمنين قال هات فقال نعم يا امير المؤمنين انف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين انا اقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال اصلح الله الامير انا اقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول انف اسنان اذن بطن بنصر بزة ترقوة تمرة تينة ثغر ثنايا ثدى جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دراديرذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدى أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليهم شيأ اعطوه ما يتمناه ثم اجازه وأنعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه وكان الحجاج بن يوسف الثقفى من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق فى الضحك أتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشأم مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك فى كل يوم وكان يقول ارى الناس يتخلفون عن طعامى فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولى اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع اهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال ايها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوى الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال ومن انت لله ابوك قال انا الليث الضمضام والهزبر الهشام انا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملى السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك

ثم قال مالى أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا
مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة
الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عنى وذاك فلست
هنالك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك
صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال
العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب
والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته
ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى اكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة
بجلته فهذه آيتى وعلامتى وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للاعناق قطاعا
وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك فى الاشياء نفاعا والا فليستبدل بى أمير المؤمنين فان
الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذى تحتاج اليه
قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هئ له من الجند شهوته
وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا
نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة اذا أتانا آت فقال
هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد
فاذا نحن به يمشى وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف
حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذو وحالة حسنة وهيئة جميلة فكان
الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم
الخز والديباج قال وكان فى المسجد يومئذ عمير بن ضابى التميمى فلما رأى الحجاج على المنبر قال
لاصحاب له اسبه لكم قالوا اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن ضابى وقال لعن الله بنى أمية
حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها
ووالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد
قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال انى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل
اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا اصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان
اول شئ نطق به أن قال والله انى لارى رؤسا أينعت وقد حان قطافها وانى لصاحبها وانى لارى
الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم
عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم طالما أثرتم الفتنة
واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لانكلن بكم فى البلاد ولاجعلنكم مثلا فى كل واد
ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وانى يا أهل العراق لا أعد الا وفيت ولا اعزم الا أمضيت
فاياى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى
من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا

فليس منى الاهذار والا كثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير المؤمنين اليكم وأمرنى أن انفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الادب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بدلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابئ الذى يقول

همممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر * ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف فى قتل اسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك فى الدماء فى الخطا بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغنانى عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه
فان ترمنى غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنى والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك منى وان تعد * يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطى الحقوق فانما النوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر

اسرافى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتل العصاة اسرافا واعطائى المطيعين تبذيرا فليمض لى أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقادبهم ولا قتلت الالك ولا أعطيت الافيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبغى رضاك وأتقى * اذاك فليلى لا توارى كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذى تسرى الىّ عقاربه
وأعط المواسى فى البلاء عطية * لرد الذى ضاقت علىّ مذاهبه
فمن يتقى بؤسى ويرجو مودتى * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم منى أردته * وما لم ترده اليوم انى مجانبه
وقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولن يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هنالك (وفى مروج الذهب للمسعودى) أن أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له دبر وأبى أن يقبل الثدى وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبروه بخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه تزوجت قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما فى السحر فوجدها تتخلل اسنانها فطلقها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفمك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى فأولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف فى القتل على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبى أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول

فى ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأما فاذكر ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

## *(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)*

*(حكى) عن أبى عبد الله التميرى انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من اى العرب أنت قالت أنا من بنى كلاب قال وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اى الناس أنت فقال أوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من اى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن اى كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من اى قريش قال من أجلها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من اى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقه العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم (وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان ولدت فحلا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج

كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ذممنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ماهو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يادايتا اكشفي لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت ياجمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ماهو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله اعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة امير المؤمنين قالت مبادرة يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال قولي فأنشدت تقول

ماسلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وامر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال فائقة في الكمال غير انها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا امير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه سرعة

جوابها وأمر بشرائها ٭ ومن ذلك ما حكى ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع احد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وارسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزباء وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم ارسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في امره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت اباها متحيرا في ذلك قالت له يا ابت انا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

اهدت لك العنبر في جوفه ٭ زر من التبر خفي الحام
فالزر والعنبر معناهما ٭ زره كذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكى) ان طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل فرت نساء منهم جملة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد ان يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاى شئ يا بني تميم ما تكتنون فقالت ولم لا تكتنى وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لي

حولوا عنا كنيستكم ٭ يا بني حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت اصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثارك (وحكى) ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل ألا أيها البنتان ان أباكما فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال ألا أيها البنتان ان أباكما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان ان أباكما أجابتاه بفم واحد قتيل خذا بالثار ممن أتاكما ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم ٭ وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى ٭ يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا ٭ اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك اطاب ريحهما لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا ٭ وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا ٭ وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها

قالوا عاجلها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه وأتي بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحي أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه ان اصدقة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اربعمائة درهم فأدى اجتهاد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه ان لا يزيد احد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على اربعمائة درهم فمن زاد القيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت ورجل اخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفي امر طعام ام شراب قال بل في امر مباعدتك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا ايها القاضي الحكيم انشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست في امر النساء احمده

فانشأ الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحلل * أني امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا يا رجل * في اربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من ايكم اعجب امن كلامها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني و يسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فقلت لها اصبري حتى اعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت امشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى ادركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها اولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم ادلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا انا بشبان كأنهم الاقمار قد اقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى احدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك)*

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازات يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس مالي وكثرته * وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح ارويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن ابي محجن وأمر له بصلة وجائزة *(وقيل) أخذ عبد الملك ابن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له الست القائل

ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فقال يا امير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب واردت بذلك مناداتك فكان ذلك سبب نجاته ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وان اباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن امية وما امية الا امة صغرت فكيف صرت امير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

ايشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الجمال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا اجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان وقال يهودي لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم انتم لم تجف اقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووجد الحجاج على منبره

مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم
بذات الصدور ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم
قال له انتم معشر بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بنى امية تصابون
فى بصائركم وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يا بنى هاشم ان خيرى
لكم لممنوح وان بابى لكم لمفتوح فلا يقطع خيرى عنكم ولا يرد بابى دونكم ولما نظرت
فى امرى وامركم رأيت امرا مختلفا انكم ترون انكم احق بما فى يدى منى واذا اعطيتكم
عطية فيما اقتضنا حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب
والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس
رضى الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن
قطعت عنا خيرك فخير الله اوسع منك ولئن اغلقت دوننا بابا لنكفن انفسنا عنك واما هذا
المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله
خف ولا حافر اكفاك ام ازيدك قال كفانى يا ابن عباس * وقال معاوية يوما ايها الناس
ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين ونحن
عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش
ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول
وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه
يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا
وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء
أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما
لجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك
اذ سموك معاوية وهى الانثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لى ولدتنى أما والله ان
القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها لفى أيدينا وانك لم تهلكنا
قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك اعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت
لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا اشدادا وأسنة حدادا فقال معاوية
لا كثر الله فى الناس مثلك يا جارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط بأهله * وخطب
معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
فعلام تلومونى اذا قصرت فى عطاياكم فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما فى خزائن الله
ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون
الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه ابو حنيفة رضى الله عنه وكان فى الحمام فغمض
عينيه فقال له المجنون متى اعماك الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكى أن الحجاج خرج

يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمال الكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال انا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من انا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح قال اني أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا وقال ملك لوزيره ما خير ما رزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ما ذكر أن ابراهيم مغني الرشيد غني يوما بين يديه فقال له احسنت احسن الله اليك فقال له يا أمير المؤمنين انما يحسن الله اليّ بك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية انت بستان فقال العلوي وأنت النهر الذي يسقي منه البستان * وذبحت عائشة رضي الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما عندكم منها فقالت ما بقي منها الا كتف فقال كلها بقي الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لابي العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت انا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم في حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله ابن سعد اسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال انت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجا من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبي صغير أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص لفص كان في يده قال نعم يا أمير المؤمنين اليد التي هو فيها احسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أأنت اكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي أأنت سعيد قال امير المؤمنين السعيد وانا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال امير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا ابسط قامة اراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكني اقتصرت على هذا واوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسال الله تعالى العون والعناية

## الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد

وهفوات الامجاد

قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم في مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكأني بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وهيئت اكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالي بجسده البالي فهو في التراب عفير والى ما قدم فقير وقال الشعبي ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا (وخطب علي رضي الله عنه) فقال في خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه ادرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر الا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض إعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم وأجارنا واياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهذ او أشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا واشار الى سيفه فقال له معاوية انت سيد الخطباء

(فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم) قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل امسك على النابغة الجعدي اربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا يجاز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال افرضت الفريض قال نعم قال ارويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك في ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ارووا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا

من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البرّ والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى او تستريحى

وقيل لم ير قط اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة ويذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم في بيت من الشعر شكوا فيه فأبى وكان الحسن بن علىّ رضى الله عنه يعطي الشعراء فقيل له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال أبو الزناد ما رأيت اروى للشعر من عروة قلت له ما أرواك يا ابا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه اشهد انك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له * ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزوّد

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزوّد

ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ فمن السرقة الفاحشة قول كثير في عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درّ يزينها

اخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروىّ

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة بحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ

وامر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر

ترجى النفوس الشئ لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وابو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا فى سواد المطالب

اخذه من قول الاخطل

رأيت بياضا فى سواد كأنه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(ومن سقطات الشعراء) ماقيل ان ابا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى انه لقى محمد بن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا امير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وانا اقول فى كل سنة مائتى قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذى يقول ابو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت اقول كما يقول

ألا يا عتبة الساعه * اموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكنى اقول

ابن عبد الحميد يوم توفى * هد ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار ابن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه فى الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتى * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا ادنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبى فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى ما فى شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

وغير شئ معناه المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الاسماع قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس اهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول ابي تمام

ان الاسود اسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال ابو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي اشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها امرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

واي ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها * واحسن شئ ما به العين قرت

وليس شئ اقر بعينها من النكاح ايحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما اراه هوي وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة والذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم واحجم واتهم عن جوابها رضي الله عنها

(وروى) ابن الكلبي قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا ايها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك اني قد خلا زمني

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أني لدى الباب كالمشدود في قرن

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فقال نعم يا ابا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضي الله عنه مالي وللشعراء فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن ابي ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتني في يوم تدنو منيتي ✽ شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ✽ وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي ✽ هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال اليس هو القائل

الا ليتنا نحيا جميعا فان نمت ✽ يوافى لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما انا فى طول الحياة براغب ✽ اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
اظل نهارى لا اراها وتلتقى ✽ مع الليل روحي في المنام وروحها

والله لا يدخل على ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال اليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم ✽ يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ✽ خروا لعزة ركعا وسجودا

ابعده الله فو الله لا يدخل على ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال ابعده الله والله لا دخل على ابدا اليس هو القائل وقد افسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بينى و بين سيدها ✽ يفر منى بها واتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال اليس هو القائل يفتخر بالزنا فى قوله

هما دلتانى من ثمانين قامة ✽ كما انقض باز لين الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا ✽ أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا ✽ ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لا دخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال اليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى ✽ ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا ✽ الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو ✽ قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا ✽ واسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فو الله لا دخل على أبدا ولا وطئ لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غير ممن الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ✽ وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا ✽ جعل الخلافة فى الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره ✽ حتى ارعووا وأقام ميل المائل

انی لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فی الكتاب فریضة * لابن السبیل وللفقیر العائل

فلما مثل بین یدیه قال یا جریر اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشأ یقول

کم بالیمامة من شعثاء أرملة * ومن یتیم ضعیف الصوت والنظر
ممن یعدك تكفی فقد والده * كالفرخ فی العش لم یدرج ولم یطر
أأذكر الجهد والبلوى التی نزلت * أم قد كفانی ما بلغت من خبری
انا لنرجو اذا ما الغیث أخلفنا * من الخلیفة ما نرجو من المطر
ان الخلافة جاءته علی قدر * كما أتی ربه موسی علی قدر
هذی الارامل قد قضیت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخیر مادمت حیا لا یفارقنا * بوركت یا عمر الخیرات من عمر

فقال والله یا جریر لقد وافیت الامر ولا أملك الا ثلاثین دینارا فعشرة أخذها عبد الله ابنی وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع الیه العشرة الثالثة فقال والله یا امیر المؤمنین انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك یا جریر فقال ورائی ما یسوء كم خرجت من عند امیر یعطی الفقراء ویمنع الشعراء وانی عنه لراض ثم انشأ یقول

رأیت رقی الجن لا یستفزه * وقد كان شیطانی من الجن راقیا

*(ومما جاء فی كبوات الجیاد وهفوات الامجاد)*

قال الاحنف الشریف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صارم ینبو وكل جواد یكبو وكان الاحنف بن قیس حلیما سیدا یضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس الیه رجلا یسفهه فقال یا ابا بحر ما كان ابوك فی قومه قال كان اوسطهم وسیدهم ولم یتخلف عنهم فرجع الیه ثانیا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان ابوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم اخلاق ولم یكن اهتم سلاحا وقال سعید بن المسیب ما فاتنی الاذان فی مسجد رسول الله صلی الله علیه وسلم منذ اربعین سنة ثم قام یرید الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد (وقال قتادة) ما نسیت شیأ قط ثم قال یا غلام ناولنی نعلی قال النعل فی رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنی امیة ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادی حدا به یوما فقال

ان علیك ایها البختی * أكرم من یمشی به المطی

فقال هشام صدقت وذكر عنده سلیمان واخوه فقال والله لاشكونه یوم القیامة الی امیر المؤمنین عبد الملك ولما ولی الخلافة قال الحمد لله الذی انقذنی من النار بهذا المقام قال النابغة ای الرجال المهذب وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم

## الباب العاشر فی التوكل علی الله تعالی والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفیه فصول

(الفصل الاول فی التوكل علی الله تعالی) قال الله تعالی وتوكل علی الحی الذی لا یموت وقال تعالی وعلی ربهم یتوكلون وقال تعالی ومن یتوكل علی الله فهو حسبه وعن ابی

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود من دعاني أجبته ومن استغاثني أغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فأنا كافي المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكي) أنه كان في زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففي بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمني منها فلهذا أنا اذا لا أبالي فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكي) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا الذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ماترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة ياأبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدي لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من أحبني فليلق

منطقته فعل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لا تبينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب أن تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الامير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا يوصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وما له وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا الا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذ لم يكنى فقلت ما آكل فلم يعاودنى ورأيت مالم أره الا فى دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يامنارة فكل قلت ليست لى به حاجة فلم يعاودنى ونظرت الى أصحابى فلم أجد أحدا منهم عندى فحرت لكثرة حفدته وعدم من عندى فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلنى وقال ما أقدمك يامنارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلى وما شككت انه يريد القبض على فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان فى مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلنى وقدم رجليه وقال هات يامنارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع فى المحمل وركبت معه فى المحمل ومررنا فلما صرنا فى ظاهر دمشق ابتدأ يحدثنى بانبساط ويقول هذه الضيعة لى تعمل فى كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لى وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لى منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا ألست تعلم أن امير المؤمنين أهمه امرك حتى انفذنى خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدرى ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثنى حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستى فيك يامنارة ماظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامى لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجى على ما ذكرت فانى على ثقة من ربى الذى بيده ناصيتى وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى على بأمر فلا حيلة لى بدفعه ولا قدرة لى على منعه وان لم يكن قد قدر الله على بشئ فلو اجتمع امير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضرونى لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالى ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وامير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتى فهو لا يستحل مضرتى وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عنى وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يامنارة أخبرنى من يوم خروجك عنى الى يوم قدومك على فابتدأت أحدثه بأمورى كلها مفصلة والغضب يظهر فى وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدى لاصحابى فلم اجد منهم احدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه اسفر وجهه واستبشر فلما اخبرته بحديثى معه فى ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لى قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد ازعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى اولاده واهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله على مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به امير المؤمنين

واجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له امير المؤمنين سل وانجح فقال سرعة رجوعى الى بلدى وجمع شملى بأهلى وولدى قال هذا كائن فسل غيره قال عدل امير المؤمنين فى عماله ما احوجنى الى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يامنارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذى أخذته منه قم فى حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة فى التوراة فكتبها وهى يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان ما دام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائنى ملآنة وخزائنى لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك فان طلبتنى وجدتنى وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندى مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعى بخلقهن أيعيينى رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فانى لم انس من عصانى فكيف من أطاعنى وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله فى كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه

فكم حالة تأتى ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم انفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن فى الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا

وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله) جاء فى تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله فما القناعة قال الاياس مما فى أيدى الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهى الشئ فيدافعه سنة قال الكندى العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقال بشر بن الحرث خرج فتى فى طلب الرزق فبينما هو يمشى فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هى

انى رأيتك قاعدا مستقبلى * فعلمت انك للهموم قرين

هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين

طرح الاذى عن نفسه فى رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم فى مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة

والفلاحة

والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ماهم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا او خلفا قال و يلك يا حجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال و يلك يا حائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من و بر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لايسمع فيها الاصوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبى حنيفة رضى الله عنه بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال هى من مال رجل ما اقدم عليه احدا فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحى ولكنى احب أن أعيش فى عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما فى بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الاشيا بحكمته * لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وماتحت جنبه شئ فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك مما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثورى ما وضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء صلائى ونور القمر سراجى و بقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذى كببت الدنيا على وجهها ببيت مفرد

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شئ من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى اليه فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما اصبح وجه اليه بألفي دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت فرجعت فأتاني رزقي في منزلي ولما ولي عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصاري وثقفي فلما سارا تخلف الانصاري وقال الذي أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطيني فوفد الثقفي وقال أحوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصاري قال رجع الى أهله فأمر للثقفي بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصاري بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفي وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغني ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مساقط روسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما انخنا الناجعات ببابه * تخلف عني اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذي أعطى العراق ابن عامر * لربي الذي أرجو لسد مفاقري
فقلت خلالي وجهه ولعله * سيجعل لي حظ الفتى المتزاور
فلما رآني سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائرا شيء خلاف المقادر

قيل اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه اتدري لم رزقت الاحمق قال لا يا رب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع اذا اعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوي العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترى اني لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي وابن نبي * ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك علي بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج علي وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاما فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فاشار الى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر البجلي

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم اقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم مالم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى

غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندى * بين القنا والاسنه
والخيل تجرى سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل * على فضل ومنه

وأنشد أعرابى

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله اوسع
ولو تسأل الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب او لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ نقلت كيف تعمل

أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هي القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلي الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح ويقول بأي يد كانت مني تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر وأجاد

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهران أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي ما أبلغه وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسيء العمل وقيل من جرى في عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن ابو العباس أحمد بن مروان في قوله

وذي حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد

ولقد أحسن من قال فى الجناس الحقيقى

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم انت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد ابن المعذل

ولى أمل قطعت به الليالى * ارانى قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الامانى فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط فى الدنيا ولا فى الآخرة قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لاشك فائت * فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

وقال آخر

ولا تتعلل بالامانى فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى فى الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما أدرى أندركه * أم يستمر فيأتى دونه الاجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعبت وجد الموت فى طلبى * وان فى الموت لى شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتى فيما خلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبى

وله أيضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو * اذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الاخير فقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وافنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء فى الطمع وذمه) قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضى الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من اراد ان يعيش حر أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من ارباب العلم قال الذين يعملون به قال فما اذهب العلم عن قلوب العلماء بعد ان علوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعى فتواصوا ثم افترقوا

وهم مجمعون على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت أن الميت اوصى لي بشئ من ماله وما زفت عروس الا كنست بيتي رجاء ان يغلطوا فيدخلوا بها الي قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما لديه

والله اعلم وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)*

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف اهل التأويل في امره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة اوجه احدها انه امره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها انه امره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها انه امره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد امرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة واما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور واما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له راي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابي لا مال اوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر اقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاشارة فحقيق ان لا يخيب رأيه وقيل الرأي السديد احمى من البطل الشديد

قال

قال أبو القاسم النهروندى

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى ان يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فان فساد العزم ان يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما

فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

وقال آخر

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

ووصف رجل لعضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن اول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغى ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال ابو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير ان يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق احدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم ايضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه للابهام

فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجاني بمن لا ذنب له وقيل اذا اشار عليك صاحبك برأي ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بان تقول انت فعلت وانت امرتني ولولا انت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السباخ قال الشاعر يمدح من له رأي وبصيرة

بصير باعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل امر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولما اراد نوح ابن مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتيني قال لابد ان تشير علي قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي * وكان يقال من اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله في امره ما يحب * وقال بعضهم خمير الرأي خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذو الهوى اسير هواه فلا يقدر على مخالفته *(وحكي)* ان رجلا من اهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه وضاقت علي الارض ولم اهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والرأي فأشار علي بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار علي بعض ذوي الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكني رأيتك اهلا لقضاء حاجتي فان قمت بها فاهل لذلك انت وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الي فلما رأيت ذلك لم املك نفسي فرحا

وسرورا

وسرورا ثم عاد الحاجب بى اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود

عمت عطاياك اهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود

من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت دينى ووسعت على اهلى وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى ان لا أترك الاستشارة فى جميع أمورى ما عشت *(وحكى) عن الخليفة المنصور انه كان صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان والياعلى الكوفة ما افسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل امنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى امر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا اجد غيرك من اهله ولا ارى سواك مساعدا لى على حمل ثقله فهل انت فى موضع ظنى بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى انا عبد امير المؤمنين ونفسى طوع امره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على ما بعضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله الزمه القصاص وسلمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما اخذت عمى وافكرت فى قتله رأيت من الرأى ان اشاور فى قضيته من له رأى عسى ان اصيب الصواب فى ذلك فأحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان امير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء امره فما رأيك فى ذلك وما تشير به فقال لى يونس ايها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم امير المؤمنين فانى ارى لك ان تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم امره عن كل احد عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وابوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وانفذت امره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ما امرك به وقتلت عمه امرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر امره لك وأخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لامير المؤمنين انى انفذت امره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على ان يسألوه فى اخيهم ويستوهبوه منه

فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم ان
حقوقكم تقتضي اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في
مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل
خروجي الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت
يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم
وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني
بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لأسلمته الى من هو بصدد
ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا أني أمرته بقتله وقد كذب علي
قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني
الى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضربني به فقلت
له يا عم أفاعل أنت قال اي والله كيف لا اقتلك وقد قتلت أخي فقال لهم لا تعجلوا وردوني الى
أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته علي عصمني
الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوي فان امرتني بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة
فأطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم
رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى واحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه
عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت
روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان
المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط
البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها
البعيدة (وما جاء في النصيحة) اعلموا ان النصيحة للمسلمين وللخلائق اجمعين من سنن المرسلين
قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان أنصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف
آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان
الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
ولعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع
له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة
من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين
وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث
الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا
القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد

بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لايقبلها الا اولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لاينصح اخاه حتى يقول له فى وجهه مايكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم احد
لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد اعددتك لامر قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وانشد الاصمعى

النصح ارخص ماباع الرجال فلا * ترددعلى ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لاتخفى مناهلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لايضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس اهله فقال فيروز

امرتك امرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
امرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك اولى اللوم ان كنت لائما
فما انا بالباكى عليك صبابة * وما انا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسودلونه من الفضيحة وقال طرفة

ولاترفدن النصح من ليس اهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه
فلا تمنحن الرأى من ليس اهله * فلا انت محمود ولا الرأى نافعه

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماشبه ذلك)*

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن

وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروينا فى صحيح مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمه الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها اكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما امرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما امروا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن عمار الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان اتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى حميدا ومن كتبته عندى حميدا لم اعذبه بعدها ابدا * وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى واوجز فقال يا امير المؤمنين هل احد احب اليك من نفسك قال لا قال ان اردت ان لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات * ولما لقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت احب ان القاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام يا ابا سعيد لقد وعظتنى احسن موعظة * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له اما سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فانى اوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل

عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان أن اباه كان يحبه فأحباه
ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد
في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله
في الشدة والرخاء يا بني ماشر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة
حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي
بما قسم الله له لم يحزن على مافاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها
ومن هتك حجاب اخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن
أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال
احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن
أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل
حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب ميزان
الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن
ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة
الغنى الشكر يا بني لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا شفيع أنجح
من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب
* ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا
وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ماجمع وتركتم عليه ماحمل ما أعظم منقلب هشام ان لم
يغفر الله له * وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا امير المؤمنين أما علمت انه كان بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف
بمن سفك دماء المسلمين وانتهب اموالهم يا امير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين
لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن
ثوبا من النار وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل
جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن
أسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن
يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله
عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط
اولى بفرعون ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وروى
زياد عن مالك بن انس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث ابو جعفر الى مالك بن انس وابن طاوس
قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم
السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع
رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن ابيك قال سمعت ابي يقول قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابى مخافة أن يناله شئ من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولنى هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال اخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عنى فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغى قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا امير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضى الله عنه رأسه واطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب لا اسألك اليوم الا نفسى وقال سيدى الشيخ ابو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو امير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمنى اكراما جزيلا وامرنى بدخول مجلسه وامرنى بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض أن يكون امر احد فوق امرك فلا ترض أن يكون احد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذى اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان ابن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ماعدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم انشدته

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال

وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما نا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال ويحك قد حاك فى نفسى شئ لايخرجه الا عالم فانظر لى رجلا اسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال جئنا لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال جئنا لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال اوّاه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب نقى فقال جئنا لما جئناله رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب مافعلوا ولكان اشدهم حبالك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك ثم مت متى شئت وانى لاقول هذا وانى لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بامير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته انت واصحابك وأرفق به انا ثم افاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا امير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا اخى اذكر سهر اهل النار فى النار وخلود الابد ان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك

فقال له لقد دخلت قلبي بكتابك لا وليت ولاية ابدا حتى الق الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله امرني في امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون اميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له اعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما امرني ان اصدق وعده واطيع امره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه الف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على سبيل الرشاد تكافئني انت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم * واعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت ام الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ اخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن ابي رواد قال كان الرجل اذا رأى من اخيه شيأ امره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في امره ويؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم اخاكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم وبالله التوفيق الى اقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول

* (الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام او مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت قال الشافعي في الام اذا اراد احدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم

وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا فى صحيحيهما عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله اى المسلمين افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا فى كتاب الترمذى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذى حديث حسن وروينا فى كتاب الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى وأما الآثار عن السلف وغيرهم فى هذا الباب فكثيرة لاتحصر لكن ننبه على شئ منها فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة واكثم بن صيفى اجتمعا فقال احدهما لصاحبه كم وجدت فى ابن آدم من العيوب فقال هى اكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وماهى قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لصاحبه الربيع ياربيع لاتتكلم فيما لايعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما انشدوا فى هذا الباب

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسى

لعمرك ان فى ذنبى لشغلا * لنفسى عن ذنوب بنى اميه
على ربى حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال على رضى الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابى رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس وقال على بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعى فان الصمت اولى واسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابى ذر رضى الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على امر دينك ومن كلام الحكماء من نطق فى غير خير فقد لغا ومن نظر فى غير اعتبار فقد سها ومن سكت فى غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرنى فى بطن الحوت وقال حكيم اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو ابلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان فى اغتمام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار فى وثاقها وقيل اجتمع اربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس

ما ندمت على ما لم اقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم اتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما احسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال على رضى الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بنى اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر انت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(الفصل الثانى فى تحريم الغيبة) اعلم أن الغيبة من اقبح القبائح واكثرها انتشارا فى الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهى ذكرك الانسان بما يكرهه ولو بما فيه سواء كان فى دينه او بدنه او نفسه او خلقه او خلقه او ماله او ولده او والده او زوجته او خادمه او عمامته او ثوبه او مشيته او حركته او بشاشته او خلاعته او غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك او بكتابك او رمزت اليه بعينك او يدك او رأسك او نحو ذلك فاما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل فى النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك اعمى او اعرج او اعمش او قصير او طويل او أسود او اصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما اشبه ذلك او كقولك فلان ابوه نجار أو اسكاف او حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك او فلان سيئ الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك او فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا فى صحيح مسلم وسنن ابى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل وان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذى حديث حسن صحيح وروينا فى سنن ابى داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته اى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا فى سنن ابى داود عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن انس رضى الله تعالى عنه قال

من

من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف اهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة افضل الناس عند الله اسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف في خصلتان لا اغتاب جليسي اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلونني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب احدا فقال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لذم الناس وانشد

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم اول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين واول من عمل الخبيص يوسف واول من عمل خبز الجرداق نمرود واول من كتب في القراطيس الحجاج واول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو اول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت الي فقال الحسن اهديت الي حسناتك فأردت ان اكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت والدي لانهما احق بحسناتي واذا حكى انسان انسانا بأن يمشي متعارجا ومتطاطئا او غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما اشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومما انشدوه في هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

وكم ازعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلبه

*(الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة)* قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين همماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو

الهمزة اللمزة وقال على والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السىء الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من ابوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما احدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام ابو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من احوال الناس الا ما فى حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغى لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن ابى بردة برجل وكان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعنى ولد زنا قال ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى ابو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذى قدرة فهى المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغى لساع او يستمع لنمام ووجد فى حكم القدماء ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعى هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفى المثل السائر من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه

فيها على اخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى احد من اصحابى عن احد شيأ فانى احب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح ام على غش يناجينى
انى لاكثر مما سمتنى عجبا * يد تشج واخرى منك تأسونى
تغتابنى عند اقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لا الف لحوح ولا خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بابى براقش وابى قلمون فابو براقش طائر منقط بالوان النقوش يتلون فى اليوم الوانا وابو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون الوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه ابو رياح تشبيها بتمثال فارس من نحاس بيده رمح على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح وبغداد ممدودة واصابعها مضمومة الا السبابة فاذا اشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور باضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى ابا رياح ايضا ويقال اخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه اياك يامن صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شئ بلغه عنه فانكره الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا اتاه ساع يقول له ان صدقتنا ابغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها او نسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وانشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وقال آخر

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن اخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من اعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت احسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذى اتاها

(ومما جاء فى النهى عن اللعن)*

ما روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم ايضا عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن ابى داود عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن اصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت فى الاحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى احدهما والله اعلم

(ومما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

وقال جعفر بن الفراء

من أجمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال أعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان ابو معاوية الضرير

يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا احظكم من العزلة وصعد حسان على اطم من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ماعندك قال قلت بيت شعر فأحببت ان تسمعوه قالوا هات ياحسان فقال

وان امرأ امسى واصبح سالما * من الناس الا ماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك واسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت اسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعمرو وأخى مرداس لم لا تحدثنا ببعض ماعندك من العلم فقال اكره أن يميل قلبى باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضيل فى مرضه نعوده فقال ماجاء بكم والله لو لم تجيؤا لكان احب الى ثم قال نعم الشئ المرض لولا العيادة وقيل للفضيل ان ابنك يقول وددت لو أنى بالمكان الذى ارى الناس فيه ولا يرونى فقال ويح ابنى لم لا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعته و بكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة وقال سفيان الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وقيل لراهب فى صومعته الا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام فى مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة امور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه)*

روى عن الحسن انه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله فى الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم يكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن هذا السلطان الذى ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ماهو قال ظل الله فى الارض فاذا احسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا اساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ وقال مالك ابن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما احسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

اراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا اعدهذا اليوم من ايام ملكى وقال الجاحظ ليس شئ الذ ولا اسر من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن اعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله فى عباده ولن يستقيم امر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال اردشير لابنه يابنى الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حارس ومالم يكن له اس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وامر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدله ولد فتملك واغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما ادرك ركب وانتخب من اهل النجدة فرسانا واغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع اكتاف سبعين الفا فقيل له ذو الاكتاف وامر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وان لا يركبوا الخيل الاعراة * وقيل من اخلاق الملوك حب التفرد كان اردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع احد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على احد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على اهل المملكة ان يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم احد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترئ احد من خلق الله ان يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس احد مثله حتى ينزعه واخبرنى من سافر الى اليمن انه لا يأكل الاوزيه احد غير الملك وقيل من حق الملك ان يفحص عن اسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان اردشير متى شاء قال لأرفع اهل مملكته واوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى الله عنه عن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل فقال اتتعرف الى وأنا اعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف احوالها حتى ابهتنى

*(ومما جاء فى طاعة ولاة أمور الاسلام)*

أمر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله فى ارضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله فى الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز

تؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال احسن طاعة قال فأطعني كما كنت اطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك * وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع امري فقد اطاعني ومن عصى امري فقد عصاني وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالسمع والطاعة لولي الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم ارشدني الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة ان طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم اركان الملة وان ارفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما احسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة بريء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وان يصلح شاننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

*(الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته)*

*(أما صحبة السلطان)* فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني اني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا ادناك ولا تتغير منه اذا اقصاك * وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عليك قال لا افشي لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب للمستصحب انت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس

لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم تزدد غماء وقالوا علم السلطان وكانك تتعلم منه واشر عليه وكانك تستشيره واذا اعلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدرى متى يتغير منك فيكونون عوناً عليك واياك ان تمادى من اذا شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذر وازمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدارمداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق *(واما ماجاء فى التحذير من صحبة السلطان) * فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطراً من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول احق الامور بالتثبت فيها امور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز ياميمون احفظ عنى أربعاً لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان اقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غداً وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فقسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطاً مائلاً فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائماً من خوفه

ان ادخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه اخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من ابواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على ابواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيساً واكراماً فزده تهيباً واحتشاماً * وقال ابو على

الصغانى

الصغانى ايالـ والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منهالم يقرب باب السلطان وقال حسان بن ربيع الحميرى لاتثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤن ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثرماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

اری الملوك بادنى الدين قد قنعوا * ولا اراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتم أيامكم بمنام

فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام او بشرب مدام

ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام او بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب ردّ الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما اشبه ذلك)*

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة وأن يفوّض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا وبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستنقاء الجلسا

ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليله ودمنه لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس فى الرجل فيقتله الملك فن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من اجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الاولى انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا احبك الوزير فنم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم واعلم أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما أن المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب

## *(الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرور والخطر)*

(أما الحجاب) فقد قيل لا شيء أضيع للمملكة ولا أهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب احجمت الرعية عن الظلم واذا اعظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني ابي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيأ من امور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه اذا اخذت مجلسي فلا تحجبن عني احدا فان الوالي لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه احد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسئل شيأ وكانت العجم تقول لا شيء اضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شيء اهيب للرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذي هو اشد منه قال وقوف الشريف بباب الدني ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا افهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضا كان الحمار مطيتي * ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب قال الشاعر

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراساني بباب ابي دلف العجلي حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه ابو دلف بقوله

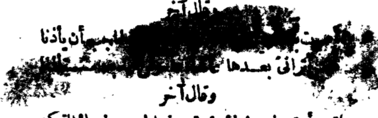
اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وابواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابي

ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لابد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذي * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * اوكان يدفع بالتي هي أحسن



وقال آخر

ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير

ما بال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك

ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا انت تملك اذنه * ولو كنت اعمى عن جميع المسالك

فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلي مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ

ما أنت الا في الحصار معي فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال ابو تمام

سأترك هذا الباب ما دام اذنه * على ما ارى حتى يلين قليلا

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسي وانعاهي هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذي قال لك قال قال كلاما لا افهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انما امهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسئلة الا اغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته وجاء النامي الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا * لمثلك من امير أو وزير

رجوناهم فلما اخلفونا * تمادت فيهم غير الدهور

فبقنا بالسلامة وهي غنم * وباتوا في المحابس والقبور

ولما لم تنل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

وأنشدوا في ذلك ايضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب

ان حال عن لقياكم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء وأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك يا سعد فقال ومالي لا أبكي وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان في الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

في كل يوم لي ببابك وقفة ✱ أطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت وغبت عنك فانه ✱ ذنب عقوبته على البواب

(وأما ذكر الولايات ومافيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء في التفسير أن من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي في قلبك حبه خاصة وبهذا أسلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان ابن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الالم يجد رائحة الجنة وفي الحديث من ولي من امور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى اماكنها فان كان لله مطيعا اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مالم اسمع قال نعم وكان سلمان وابوذر حاضرين فقال سلمان اي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالارض وروى ابو داود في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي عريف على الماء واني أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي عليه الصلاة والسلام العرفاء في النار وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة الإمام الجائر وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب

مايودّ أنه لم يقض بين اثنين في تمرة وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يارسول الله خرلي فقال اقعد في بيتك وقال أبو هريرة
رضي الله عنه مامن امير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا ألجأه عدله او اهلكه
وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري ياامير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم
القيامة قال سليمان قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله في ملكه
فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فمازال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال
ابن سيرين جاء صبيان الى ابي عبيدة السلماني يتخيرون اليه في الواحهم فلم ينظر اليها وقال
هذا حكم لا اتولى حكما ابدا وقال أبو بكر بن ابي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة
فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن
صرّافا ولا مكاسا ولا عريفا ويروى ولا عرافا ولا بريدا وانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا
وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا الى ثلاثا
وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى
تحلفوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا
يرون أنه الخضر عليه السلام وقال ابوذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ياأباذر اني أحب لك ما احب لنفسي واني أراك ضعيفا فلا تتأمرنّ على اثنين ولا تلينّ
مال يتيم ومن غريب مااتفق وعجيب ماسبق ماحكي أن ملكا من ملوك الفرس يقال له
أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الأردن
بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من ابيها فامتنع من
اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت
وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما اخبث مثلة فسار اليه أردشير في جيوشه فقاتله
فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من
اجمل النساء واكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها
فقالت له ايها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت
قد غزا بلادنا وقتل ابي وقتل سائر اصحابه قبل أن تقتله أنت وانه اسرني في جملة الاسارى
واتى بي في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي ارسلت تخطبها أحبتني وسألت اباها أن يتركني
عندها لتأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأننا روحان في جسد واحد فلما ارسلت تخطبها
خاف ابوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض اقاربه من الملوك
فقال أردشير وددت لو أني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها
فائقة في الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسري وقال هذه اجنبية من الملك ولا احنث
في يميني باخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها
تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبت ابي وانا غلبتك فقال
لها ومن ابوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التي خطبتها منه واني سمعت
انك أقسمت لتقتلني فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك

قتلي فعظم ذلك على أردشير اذقهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال ايها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها انت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه احق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال ايها الملك ان صورتها محرومة وجعل الملك معها وهى اولى بالستر ولا ارى فى قتلها استر ولا اهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال واعوان فتحيل الى أن طرح شيأ فى البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما اصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال ايها الملك انى نظرت مولدى فرأيت اجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى اولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك لخذه اذا انا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر اسأل الملك أن يقسمه بين اولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من ابى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولا ولادك سواء كنت حيا او ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك واودعه عنده فى صندوق ثم مضت اشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع لها اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد اساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مولك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير ايها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى ارى انى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الاردن و بحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت ابقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال ايها الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من احسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك احق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال ايها الملك ان فى الوالد روحانية تشهد بأبوة الاب وفى الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم ابدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذو وآباء معروفين خلا هو وانى اعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت

فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعها الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شابور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة ابيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له ايها الغلام ما اسمك قال شابور فقال له صدقت انت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك ايها الملك ثم احضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير ايها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم اخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما ابداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شابور بعد موت ابيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشابور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

## الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول

(الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة واحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن ابي حازم قال دخل عمر على ابي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن ابا بكر فقال اتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا ابا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا ابا الحسن مالي اراك متغيرا اكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع

خصمك

خصمك فاخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بابي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن ابي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا واراد عمر بن هبيرة أن يولي اباحنيفة القضاء فابى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه ابي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا اهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من اهل اليمن قال اقبل سيل باليمن في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظننناه كنزا فكتبنا الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لاتحركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند رأسه سيف اشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبي اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لايجيبهم فلما الحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل اصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا وقيل اول من اظهر الجور من القضاة بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان امير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فاجد احدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضي له وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن اكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لاتأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فاراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين الف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة اني تناولتك من جهة القدرة ثم امر ليحيى بمال واجزل عطاءه وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى ابي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال ابو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع ياغلام ائتني بعمرو بن ابي عمرو النخاس فانه ان قدم علي الساعة امرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى امير المؤمنين ثم ان الحاجب اخذ بيده حتى اوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه واخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم ارددك الى ملكي فليست منزلتك عندي ترن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى اعلم وقال الابرش الكلبي يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملهار وأضها
حتى اذا ماقام الفتى بينها * بالحق حتى جمعت اوغاضها

وفى ضد ذلك قول بعضهم

أبكى وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك جاءشهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ماقال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك مارأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيذج وهو الذى قال فيه ابو اسحق الصابى

يارب علج أعلج * مثل البعير الاهوج
رأيته مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذية * تذهب طورا وتجى
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيذج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه ابو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى

فتن الشعبى لما * رفع الطرف اليها
فتنته ببنان * كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبى فضرب الاشجعى ثلاثين سوطا وحكى ابن ابى ليلى قال انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبى لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبى وقال رفع الطرف اليها ثم قال ابعده الله أما انا ماقضيت الا بالحق وانشد بعضهم فى امين الحكم

تعاوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة ليتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وماجاء فى الديون) أما الرشوة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهيدى واصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم وفى نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى له

فقبل فذلك السحت فقيل لهما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر
وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

(وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي له بجنازة لم يسأل عن شئ من عمل الرجل و يسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتي بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا دينارين يارسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يارسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله ان يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على احد عليه دين ثم قال بعد أنا اولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لاهم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي ان لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوي أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شئ استقرضه الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شئ علي تركته * فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

واني لاقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين ان لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الاصمعي خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ماتطلبه فقال يا أبا سعيد أماتثق بي قال بلي وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف عنادين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(أما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروي أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأكلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان اقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن اكرم واعظم من ان تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان عمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * ووعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ماذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأما ما جاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر ان يرى عليك آثار المحسنين وانت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن اوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا ما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد ان يستظل معه فنعه وقال ان اقتمعي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس أني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون اني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك

أحد اللهم أصلح فساد قلوبنا واعترافنا تحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)*

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل واعلم ان عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام ويقال ان الخاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لأبلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل * ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا * وكان أحمد بن طولون والي مصر

متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكى) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فأنصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم احد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه * وروى ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له اصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه انه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل تنصفك وأمر ان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه * وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم اجلى ولا أبغض شيأ الا ابغضته وهجرته الى يوم اجلى وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله * ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان * وقيل مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية واعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى امير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى

يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزلهم عنهم * وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغنى أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو انى رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها ان تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد فى عمرى لأردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة فلا امننيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به ادخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه باخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن ان ملكا رآها أو وصف له خبرها فهم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد احدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها * ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله ان لا يأخذها منها ابدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت مل ء قدح (وحكى) سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من اشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين

وبيبة وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت في الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف رضي الله عنهم ويقتدي بهم في الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء في العدل والانصاف وفضل الامام العادل لألفت في ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك)*

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة في عرض أومال فأتاه فتحلله منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الي يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتي ولاحد من عبادي عند احد منهم مظلمة فاني ألعنه مادام قائما يصلي بين يدي حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه * ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره * وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك وقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم * ورىء لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكان منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا

دعت عليك اكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله * وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى دواد وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن اسباط من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله فى أرضه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لأبيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد ابن حاتم يقول ماهبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا اعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * ويحكى

علي بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع ارضه وروى أن كسرى أنوشروان كان لمعلم حسن التأديب بعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته * فما ليل حر ان ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم ابن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغي وللبغي سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخز الابر

*سهام أيدي القانتين في السحر*

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد ان يوليه القضاء ما كنت لألي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة

وأشياع الظلمة حتى من يرى لهم قلماً أو لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم
في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما انقضى
المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنني اليك فاني مظلوم وقد أعوزني
العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فاذكر حاجتي قال وما يحجبك
وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك
قال في ضيعتي الفلانية اخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي
لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وانا أؤدي خراجها وهذا
لم يسمع مثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل
أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا
فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الاشياء
ان هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني
لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته
وصيره من اصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف
الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك
ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمدت معهم الانصاف
ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وانا أرجو لهم
ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ومما نقل في الآثار الاسرائيلية في زمان
موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا
يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح
بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية
فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها
رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني
ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك
الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها أن تشويها فلما شوتها
قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده
نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها
قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسري الألم الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الألم
والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن
تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الألم الى الساعد فما زال
هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه
مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى
في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فأرضه
فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم أن الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن

الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة عما جناه ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام ياموسى وعزتى وجلالى لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تضمنته أخبار الاخيار) ما رواه أنس رضى الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضى الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال انس رضى الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول انى لم أشعر بهذا وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته ✱(وحكى)✱ أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا ايام ومن نعيمك ايام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يانؤم اذا التقينا ✱ غدا عند الاله من الظلوم

أما والله ان الظلم لؤم ✱ ومازال الظلوم هو الملوم

سينقطع التلذذ عن أناس ✱ أداموه وينقطع النعيم

الى ديان يوم الدين نمضى ✱ وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن اكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا

بالسفينة

بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه وكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها واخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو الخبر علي فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين واخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال وأين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم امر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها واعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من أعلمك أأوحي اليك بهذه الحالة وامر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخا ابيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد اول ملاح يحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم فيتعين على كل ولي امر أن يعدل في الاحكام وان يتبصر في رعيته وعلى كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم ان الله يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

## *(الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان في استجباء الخراج واحكام اهل الذمة وفيه فصلان)*

### (الفصل الاول في سيرة السلطان في استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

قال جعفر بن يحيي الخراج عماد الملك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذر بمثل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما ادخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذي يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان وروى أن المأمون ارق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة

نخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعل لى فى صداق ابنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام واليناسلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستفظها المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية وقال أبو الحسن بن على الاسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين اربعة وعشرون ألف الف واربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق الارض ثمانمائة الف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من بر فرعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا الف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا الف دينار فاذا فرقت الاموال على اربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعواله بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار وقال أبو رهم كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه ان يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أرادوا الى حيث قصد فليس خليج بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم رد على أهل القرى اموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف

عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض قال هي خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسيء اليك ويكافئك على ما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التي كنت أخدمك بنفسي وأرجل شعرك بيدي وأكرم مثواك بجهدي وكان مني ما كان وقد ذقت وبال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسأل الناس فنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيء قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا اعرف أنه يستهزئ بي هو لم يردني في أيام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلي ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوي أن لا ينسى الضعيف وللغني أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف أن اشبع فانسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روي أن عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه أن اقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير أجئتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزود أحمل فيه طعامي واداوة أحمل فيها ماء اشربي ولطهوري وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل

ثم سلطعامى فوالله ياأمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ماصنعت فى عملك ياعمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله ياأمير المؤمنين لو بقى عندى منها شئ لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك ياعمير قال أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى فأذن له فأتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم يرله عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب ان رأيت أن تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فانا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لا آثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة و يبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن انفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك ياأمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال ياأمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم وروى أن عمر رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر مايكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

*(الفصل الثانى فى أحكام اهل الذمة)* روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا أن لانحدث فى مدائننا ولا فيما حوالها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ماخرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا فى نهار وان نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مربنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام ان أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم

لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع
الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلباننا
ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا ضربا خفيفا
ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم
بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك
على أنفسنا وعلى اهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه
على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه
ان امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا
شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروى أن بنى ثعلبة دخلوا على عمر
ابن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى
قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها
وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد وروى ان أمير
المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم
وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه اهل الحق وأبعد عنه اهل الباطل فاحيا الله به الحق
وامات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما
استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا
عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك
الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير
المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ أهانهم الله ولا اعزهم اذ أذلهم الله
ولا ادنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثر وان
الجزية قد كثرت أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم
حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند
الحرة فقال انى اريد ان اتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن
نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله
قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فاجابه بمثل
الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا اصل عظيم فى ان لا يستعان
بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم
على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان لا تولوا على أعمالنا

الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم قال اصحاب الشافعى ويلزمهم ان تميزوا فى اللباس عن المسلمين وان يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص او جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات واما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها اسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى اضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام اهل الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلمة او اصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فنهم من قال انها مقدرة الاقل والا كثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنى عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ولم يخالفه احد وكان الصرف اثنى عشر بدينار وهذا مذهب ابى حنيفة وأحمد ابن حنبل واحد قولى الشافعى ويجوز للامام ان يزيد على ماقدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين واما الكنائس فامر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع ان تجدد كنيسة وامر ان لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد فى ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر ان لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## (الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم)

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فاحب خلقه اليه انفعهم لعياله رواه البزار والطبرانى فى معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد

ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ان لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية وروينا فى مكارم الاخلاق لابى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة اخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه و بين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند اقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس مالم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبرانى وروينا من طريق الطبرانى باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من اهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له

اما تعرفنى فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان أنا اليوم أونس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك فى الجنة رواه ابن ابى الدنيا وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا أنزلناه فى ليلة القدر وام الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل انمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير اهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن اشرس ما أدرى ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى قال عرضت على أبى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشئ فأخذتها وقمت وانا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال للكاتب ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع

اذا شاركتها بلبان أخرى * أضر بها مشاركة الرضاع

وقال ابو دقاقة البصرى

اضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

وقال سلم الخاسر

* اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد *
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الىّ فارسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحى من الله أن يراك ببابى وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من احد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرّضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

## *(الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها)*

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فاكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه فى سفره قارورة الدهن والمكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو امى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا فى شئ لم أفعله لم لا فعلته ولا لامنى أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى

لامانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لايمنع من المرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا فحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة واتبعهم لله عز وجل بدنا واجدهم فى أمر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا ان يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسئ الخلق أجنبى عند اهله وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق احب الى من أن يصحبنى عابد سئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس واحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسئ الخلق التوبة لانه لايخرج من ذنب الادخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل مابال فلان ولكن يقول مابال اقوام يقولون حتى لايفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ماشئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لانه يدعو الى أن يقابل بمثله وكتب الحسن بن على الى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين انت أعلم منى بأن خير المال ماوقى به العرض فانظر الى شرف ادبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم منى وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب احدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وانا اكره أن اسبق أخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وأنشد

فى المعنى

وانى لالقى المرء اعلم انه * عدوّ وفى احشائه الضغن كامن
فامنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فانفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجاريه على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن اصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ علىّ فرسى حتى ابول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره واطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدّم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا اقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (وذكر أن انوشروان) وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب واحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وانوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فاخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فاخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم اصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم ياغلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح ياغلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ياغلام الى كم ياغلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت اخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت اخلاقه حسنت أخلاق خدمه

وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لحسن أخلاق خدمنا * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ماردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها في حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق اسارير جبهته فاقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك احرار لوجه الله تعالى ومرض أحمد بن أبي دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * احلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الهاجرة فألقي من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له أن يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما اني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني وروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكي) أن أبا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا استاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الاولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على اخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلاب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن قصي يعجبني من القراء

كل فصيح مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر و يلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف اصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف اصابعه حتى قرب من الفراش الذى انا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء واحب لك سيرتهم فهنالك الله تعالى بهذه النعمة واتمها عليك فأمر لى بالف دينار فاخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا ما وضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف فانظر الى اخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا فى أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك)*

اعلم أن المودة والاخوة والزيارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة

رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى اهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا فى ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ومن كلام على رضى الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوّا واحدا لكثير

وقال الاوزاعى الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله ابن طاهر المال غادو رائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المامون للحسن بن سهل تظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر الى الحسن من كل شئ قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتى الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط واكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى الا محادثة أخ كريم وانشدوا فى معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال لبيد

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أى الاخوان احق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا فى المعنى

أن أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال غيره

وليس أخي من ودّني بلسانه * ولكن أخي من ودّني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

وقال أبو تمام

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم ردّ جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان اي اخوانك أحب اليك قال الذي يسد خلتي ويغفر زللي ويقبل عثرتي وقيل من لايؤاخي الامن لاعيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لاتحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم ودّه ولكن داو كلمته واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني برىء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيء وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى امرى كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هناك عشقنا كم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان في الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه مازار أخ أخاه في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ودّ من يهودي وحفظ من نصراني ورياضة من دهري وكرم من أعجمي والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اعجب من الاخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله وبقي شاكرا اذا كرا لجميلتك

يوليك عليها الاحسان الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء إذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر

وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وشرقني على ظمأ بريقي
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها الذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لجليسي على ثلاث أن أرمقه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي له اذا حدث ويقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف في المجالسة بأن يحفظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان قد سمعه أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا

يسمعه والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت في بيته والآتي الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعي ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فارمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثي وفي نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مد رجليه أو تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره * ومن حق الملك ان لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح ان الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال اصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فأنصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك لطفه بك على ان تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب

الالفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك

(وأما آداب المسايرة) فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته في المشي مشى فيعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر مني على مشي وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا في ثلاث اذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلا

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته

(وأما ما جاء في الاخوان القليلي المراعاة العديمي المكافاة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة)

فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقالني عثرة ولا ستر لي عورة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود قال الشاعر

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما في حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

ولما نكب علي بن عيسى الوزير لم يتطر ببابه أحد من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال آخر

فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

وقال البحترى

اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا والطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت فى الارض اوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

وقال بعضهم فى المعنى أيضا

خليلى جربت الزمان وأهله * فما نالنى منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفى بالعهود ولا أنا

وقال آخر

لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

بيت مفرد

وكل خليل ليس فى الله وده * فانى به فى وده غير واثق

وقال آخر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك أخ امين * ولكن قلما تلقى أمينا

وقال آخر

تحب عدوى ثم تزعم أننى * أودك ان الرأى عنك لعازب
وليس اخى من ودنى بلسانه * ولكن اخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وامر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى اعدائه وعزله لم يأت اليه احد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له فى بقية يومه انه برىء مما نسب اليه فخلع عليه ورده اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا ايها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لى الزمان

ومثله فى المعنى

اخوك اخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا
اذا حاربت حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدى

وأخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء مملول اذا ما يرخص
مافي زمانك من يعز وجوده * ان رمته الاصديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الامن لهدين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلقته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى ومامن دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاأمم أمثالكم فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو في الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الاوفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلائقه غليظا في طبائعه قويا في بدنه لاتؤمن ضغائنه فألحقه بعالم الثورة والعرب تقول أجهل من ثور واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح أليست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحماران ادنيته بعد وان ابعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رايت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف اخبار اهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها اكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفه فألحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار واهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله اعلم

*(وأما الزيارة والاستدعاء اليها)* فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الاظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة اصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوّار

ولكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زرغبا تزدد حبا قال الشاعر فى معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * و يسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد

وقال آخر

وانّ مروري بالديار التي بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء

وقال آخر

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لى وأقول

وقال آخر

أزور بيوتا لاصقات ببيتها * وقلبى فى البيت الذى لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتنى بزيارة أضحى لنا * مجدبها طول الزمان مؤثل

وقضيت دينى وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن فى أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودى * أنكم غبتم ونحن حضور

فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف اى الرسل أنجح قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا فى حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يابنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يضع الله

الرحمة الا على رحيم قلنا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله
خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه ابو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له
وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا
خلقي رواه ابو محمد بن عدي في كتاب الكامل وروينا من طريق الطبراني عن الشعبي عن
النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم
وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
قال الطبراني اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال
النبي صلى الله عليه وسلم واشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة
ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على
بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع اهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له
اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابدال أمتي
لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة
لجميع المسلمين

(الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له
جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمعت به ظالما أو أغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم
افضل الصدقة ان تعين بجاهك من لا جاه له وعن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي
الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك
بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني
في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس
يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري
لك لا لغيرك وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم
وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر
عنه فامر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات
فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى

المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا ان يأخذها فقال اقذفوها فى كى ثم دخل عليه وهو فى الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب فى دولة الاسلام ولا العجم فى سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها فى عينى خصلة قال وما هى قال ليس لى فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها فى عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقى عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقى عليك الا أخبرتنى وأعلمتنى بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت وقال المبرد أتانى رجل لاشفع له فى حاجة فأنشدنى لنفسه

انى قصدتك لا أدلى بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك

فبت حيران مكروبا يؤرقنى * ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك

مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى * فاحتل لتثبيتها لازلزلت قدمك

فلو هممت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى اليك الله لا شئ غيره * وليس الى ردّ الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وماخاب من بالمصطفى يتشفع

الى باب مولانا رفعت ظلامتى * عسى الهم عنى والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبى فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبى

ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفى

وروى ان جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه

## فصلان

(الفصل الاول فى الحياء) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن على عن آبائه يرفعونه من لم يستحى فهو كافر وقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه انى لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحنى فيه صلبى حياء من ربى وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون فى الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح فان الله عز وجل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم فى مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشئ مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع فى الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له فى ذلك فقال ان أبى كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربى لعله أن يخفف عن أبى تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لانى رأيتك تتمرغ بين يدى فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره

استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل
من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شئ لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك)*

اعلم ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من
سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من ذلة
يجدها فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون الى رجل جاهل
معجب بنفسه فقال وددت أنى مثلك فى ظنك وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة ورأى رجل رجلا
يختال فى مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى وقال الاحنف عجبت
لمن يجرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو
يتبختر فى مشيه فقال له مالك يا بنى لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفنى قال
أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة
فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة
تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد
وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت
متكبرا الا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله
لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية فى الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا تكبرا
ويقول انما ينادمنى الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه
اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه
فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها
لتكسر قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو
جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى واما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا
وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر
شرفى وقيل للحجاج بن ارطاة ما لك لا تحضر الجماعة قال أخشى ان يزاحمنى البقالون وقيل
أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض
عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس
فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال ما بخل
يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل
ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فاقعده معه على السرير وحدثه

وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر إلا كل وضيع ولا يتواضع إلا كل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)*

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت وقال الاصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم *
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا * فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى * فأين رجائي ثم أين مخافتي *

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين

خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والنهروان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الا هم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لاني أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها ويقول عند انشادها اي علم بين جنبي واي لسان بين فكي وقال الجاحظ لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع في رسالته التي سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر الهذلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوي الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فدعونه وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدني شعرا فانشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه ومن شعر أبي الطمحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وأمي فاطمة وجدتك قتيلة وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها الاموال ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبي اليك فقال معاوية اني قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن

فاطمة ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد ان محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جدّي من هذا فخجل يزيد ولم يردّ جوابا وفي ذلك يقول على بن محمد ابن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله أيضا

انى وقومى من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ما ذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم في النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم في الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون انا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن

أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

وقال السموأل بن عادياء

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل

وما أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا ينال طويل
وانا اناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قبيل
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فان بنى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حى يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم فى القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس القزع
وننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله و بالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم فى مطمع طمع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر

من شاعرنا وما انتصفنا ولا قادبنا وقال شاعر من بني تميم

أبني آل شداد علينا * وما يرعى لشداد فصيل
فان تغمد مناصلنا نجدها * غلاظا في أنامل من يصول

وقال سالم بن أبي وابصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمي الذمار وترميني به الحدق
فمازلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

*(وأما التفاضل والتفاوت)*

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه اما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت ابا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت اسفل وكان يعلو حتى بلغت انا وهو هاتين الغايتين وقال ابو العوادل زكريا ابن هرون

علي وعبد الله يجمعهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
الم تر عبد الله يلحي على الندى * عليا ويلحاه علي على البخل

وحج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة ففازلها فاخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

واني لينهاني عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق اربع
حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلي من يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال استقيم وتضلع

وقال ربيعة الرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاعز بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي اني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول انا الكبير فعظموني * الا ثكلتك امك من كبير
اذا كان الصغير اعم نفعا * واجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*( الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة )*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم احدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا لانى لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فأنا أحق ان أجله واما لئيم فأنا اولى ان أرفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد ان يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم ان لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم امير المؤمنين لأخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما انت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذاك قال تركى من امرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادى وعلى الاعداء كالليث العادى وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده انه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمت لامتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

*( واما علو الهمة وهو أصل الرياسة )*

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا امير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى واقعد فى أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفاح مع أم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وانا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون الف دينار فان هو قبلها علمنا انه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فاعطت أم سلمة للخادم الف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السرى الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف الف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك ايتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه ان المريض

يسترجع الى الابن والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الابن فهو بجزع وعلو والله لا يسمع الله مني أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير انه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمي الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تتدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فجاءته امرأة من بني جعفر بن كلاب خائفة لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يسميها أو ينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على القمم

وقيل ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وارغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصد تعذيبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان احضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وارسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني ان شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا

الى أبي ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ نأخذ بزيد لبكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل * وحكى ان رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة الف درهم فاخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فمر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فامر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فاخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فاحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتي أفما ترون في اهلا ان تجيروا الي رجلا واحدا استجار بي فاستحيا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من اجرت يا أبا الوليد قال ان رأى امير المؤمنين ان يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي ان تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى امير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة الف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن ابي طالب يقول لابيه يا أبت اني لاستحي ان أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فكان ابوه يقول اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء اهل الحي فقالوا نريد جارك فقال اما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه واجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين)*

اعلم ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من ان تذكر واني والله احبهم وأحب من يحبهم واسأل الله أن يميتني على محبة نبيي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا في زمرتهم وتحت الويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

اني أحب ابا حفص وشيعته * كما احب عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة سادتي ومعتقدي * فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم

اليوم صائما فقال ابو بكر أنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال ابو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في احد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذى بعثني بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيمهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويأكلها فوصفه للبطريق فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ماشاء * واما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها اخبريني من كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فارسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فالح عليه فقال اما اذن فلا بد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تملل الخائف ويبكى بكاء الحزين فكأني الآن اسمعه يقول يادنيا الى تعرضت ام الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير اه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل اول من سل سيفا في سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه صاح على اهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يازبير قال سمعت انك قتلت قال فماذا أردت ان تصنع قال اردت والله أن استعرض اهل مكة وروى اخبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه واعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حواريي ودعا له قال الاوزاعى كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله

منها درهم بل كان يتصدق بها وباع دارا له بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم اغبن اشهدكم انها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فقال من حالك على ظهره وكان حله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه السلام واعلمه انى لا اراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه و يأمرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومر أبو ذر على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا هو فى ملكوت السموات السبع اشهر منه فى الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن الف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال ابو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وافصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من اويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال انس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى من اخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات باربعين الفا كان يخرج البدر فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان ايوب السختيانى من أزهد الناس واورعهم ذكر عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله ايوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على ان أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم اقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس واعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه و يبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى انه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم ومن محمد بن الحسن قال كان ابو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح اربعين حجة ورابط فى عباد ان أربعين ليلة وختم بها القرآن اربعين ختمة وتصدق باربعين الفا وروى اربعة آلاف حديث وما رؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن ابى رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فتمثل بقوله * تلك المكارم لا قعبان من لبن ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم اجمعين سيدى ابو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربى استاذ

ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان
أكله من اصول الوشب شيأ تعوّداً كله * ومنهم سيدى فتح بن شخرف بن داود يكنى ابا نصر من
الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال احمد بن عبد الجبار سمعت ابى يقول صحبت
فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقى اليك فعجل
قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف فرأينا مكتوبا على
فخذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا
وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين الفا الى ثلاثين الفا
* ومنهم سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى ابا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير
الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى الى أهله
بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال ما بالكم جلوس
فى الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك بلا عشاء
ولا سراج بأى يد كانت منى فما زال يبكى الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ
الحلم وهو يمشى وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى
بيت ربى عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال اتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم
التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا منى فقلت خطاك قصيرة وطريقك
بعيدة فقال انما علىّ نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى
ورواحلى رجلاى فقلت أسالك عن الخبز والماء قال يا عماه ارأيت لو دعاك مخلوق الى منزله
أكان يجمل بك ان تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم
فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الادب معه
أفتراه يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصرى فلم اره الا بمكة فلما رآنى قال أنت ايها
الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين * ومنهم سيدى ابى عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى صحب
شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم ابو عثمان الحيرى
بنيسابور والجنيد ببغداد وابو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى
فى قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ اربعين سنة ما اقامنى الله تعالى
فى حال فكرهته ولا نقلنى الى شئ فسخطته * ومنهم سيدى سليمان الخواص يكنى ابا تراب كان
احد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشأم ودخل بيروت وكان اكثر مقامه ببيت
المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشى وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر
والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من
عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول
انت فى ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى
حق الغنى من اسكن الله فى قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى
حق الغنى وان امسى طاويا واصبح معوزا فبكى القوم من كلامه * ومنهم سيدى ابو سليمان
ابن عبد الرحمن بن احمد بن عطية الدارانى احد رجال الطريقة قدس الله سره كان من

اجل السادات وارباب الجد فى المجاهدات ومن كلامه من احسن فى نهاره كفى فى ليله ومن
احسن فى ليله كفى فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى اكرم
من ان يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال
لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال احمد بن ابى الحوارى شكوت الى ابى سليمان
الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاى وقت احسست به فافرح فانك اذا افرحت به
انقطع عنك لانه لاشئ ابغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال
ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا البلاء على ابى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب
ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من
اهل النار أخبرت اهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسن الحداد سألت اباسليمان بأى شئ
تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن وردى
فاذا احوراء تقول لى اتنام وانا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام * ومنهم سيدى ابو محمد
عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لاتغتم
الامن شئ يضرك غدا ولاتفرح الابشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة
* ومنهم سيدى ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء اصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب
عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان
فى ابتداء امره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق
بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى
قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما ان تهب لى معرفتك او تأمر
الجبل ان ينطبق على فانى لا اريد الحياة بلامعرفتك * ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازى
قدس الله سره يكنى ابا زكريا احد رجال الطريق كان اوحد وقته ومن كلامه لاتكن ممن
يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم
تنفعه فلاتضره وان لم تسره فلاتغمه وان لم تمدحه فلاتذمه وقال الصبر على الخلوة من
علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى ان يقال له اذكرنى فى دعائك
وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك
بالله تشتغل فى امرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه
لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى انه قدم شيراز فجعل يتكلم
على الناس فى علم الاسرار فاتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد ان تأخذ من هذه البلدة
قال ثلاثون الفا اصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على ان تأخذها وتخرج
من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت
فقالت انه كان يظهر اسرار اولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك * ومنهم
سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى ابا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما
اديبا صحب ذا النون المصرى واباتراب النخشبى من كلامه اذا اردت ان تعلم العاقل من
الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم انه احمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم

انه لايجيء منه شئ وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الى وقال يابنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت * ومنهم سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أباعبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحى منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا فى هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا

تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف فى القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه * ومنهم سيدى جعفر بن نصر الخلدى يكنى بابى محمد بغدادى المنشا والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء بحرقة فقال لها مالك تبكين فقالت ثكلى بولدى فأنشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك أو بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو الانسان * ومنهم سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أى دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين كم تبكى وتندب أخاص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك ان تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك ان تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لاملائكته من هذا فقالوا أنت أعلم يا رب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب ان أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال ابو بكر الخياط رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجئ فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أو لم تمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى يكنى ابا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان ابو تراب النخشبى

بصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفرله ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها في اعتزال الناس والفرح كله في الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الافيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لنضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول بأى شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخى متحسر على ما فاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سيدى أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن فى عصره وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد فى الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع فى الاماق

وروى انه قال كنت يوما جالسا فجرى فى خاطرى أنى بخيل فقلت مهما فتح الله على به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقانى قال فبينما أنا متفكر اذ دخل على شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه فى مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لى ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها المزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها فى الدجلة وقلت ما اعزك أحد الا أذله الله تعالى * ومنهم سيدى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازى قال بينما أنا بجبل لبنان أدور واذا أبصرت زرقان أخا ذى النون

المصري جالساً على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الىّ
وقال ما حاجتك فقلت بيتان من شعر سمعتهما من اخيك ذي النون المصري اعرضهما عليك فقال
قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك مناناً * واليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع الى نفسه فقال
ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال ابو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد اخو ذي
النون المصري واظن انه اخوه مؤاخاة لا اخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سيدي
ابو عبد الله النباجي سعيد بن بريد كان من أقران ذي النون المصري ومن اقران أستاذي
احمد بن ابي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها روى عنه انه قال اصابني ضيق وشدة
فبت وأنا مفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم ايجمل بالحر المريد
اذا وجد عند الله ما يريد ان يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من اغنى الناس * ومنهم
سيدي بشر بن الحرث الحافي قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو
وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض
وروى عن سري السقطي وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون
فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الاحباب
وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع
وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقي رجلا
سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدي يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى
الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا
والمحبوب لا يدري ما حاله وروي أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت اني امرأة اغزل
بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شيء فقال يجب أن تبيني
فلما انصرفت قال احمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد
عجبت ان تكون هذه المسألة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذي مات فيه قال له اهله نرفع
ماءك الى الطبيب قال انا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألحوا عليه فقال لاخته ادفعي اليهم الماء
فدفعته اليهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصراني فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا
الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا
وصفت بأنك أحذق أهل زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء
نصراني فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لان ما في زمانه

أخوف منه قالوا هو ما بشر فقال انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركتك مالك أسلم الطبيب توفى سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى ان سقتها وهى تضحك وسئل بأى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدى فأقول لبيك فقوله لى يا عبدى أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى * ومنهم شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريرى شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى كلما هممت بهم اشاروا الى الله عز وجل فأكاد ان أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا انا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت اخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى ابو حمزة وابو الحسن النورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسى بات الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى ويقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود * ألا تحنو علىّ ألا تجود
سرور العيد قد عمّ النواحى * وحزنى فى ازدياد لا يبيد

فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذرى فى الهوى ان لا اعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد ودصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين * وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريفى المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق جماوعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا ان يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل اليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لألقى المرء أعلم انه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما جاوبنى النسيم الا حملته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما رجاه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك امام كبير لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان اوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية واحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى اقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه

قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

رضي الله عنه ورضي عنا به ونفعنا ببركته في الدين والدنيا والآخرة فشرعوا في تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهني معي في تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لي والداً شفيقا وباراً محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضي الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على اعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ار أكثر جمعا ولا اغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على انه كان قطب اهل زمانه * قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله اعلم فارتفع نعشه على اعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلي نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التي أنشأها بسند قامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتي المسلمين سراج الدين ابي حفص عمر الطريني المالكي في قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه في زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ونسأله التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريني أدام الله ايامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

* (الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضي الله عنهم) *

اعلم ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم اكثر من ان تحصر نسأل الله تعالى ان يحشرنا معهم في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل * (حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقي مرارا فلم نر للاجابة اثرا فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وابو محمد السختياني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن ابي سنان وعتبة الغلام وصالح المزني حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي الى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك أم نقص ما في خزائنك أقسمت عليك بحبك لي الا ما اسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحي مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عني يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأني بذلك الا لمحبته اياي ثم قال محبته لي على قدره ومحبتي له على قدري فقلت له يرحمك الله ارفق

قليلا فقال انى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما اصبحنا اتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما اردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعنى هذا الغلام فقال يا ابا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكاء وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لابد من اخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاء وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد ان تبرأنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده اريد المنزل فالتفت الى وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وانا لا اصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وانا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى اتى الى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشى اقسمت عليك بك الا ما قبضتنى اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم فى أخينا ميمون ها كم الكفن فناولنى ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فبقبره نستسقى الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه * (وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال على بدواة وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * انا جائع انا ضائع انا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى اول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة درهم فاخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل

نصراني قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام *(وحكى) أن بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتحملني الى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحملك أمانة قلت وما هي قال اذا كان غدوقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا الهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل علي وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل علي فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علي فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرني فقال لا أدري الا أني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغني الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولي وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني أتحرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقمت يومي ذلك أبكي الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا عبدي أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الي انما ذلك فضلي أوتيه من أشاء من عبادي وأنا ذو الفضل العظيم *(وحكى) أبو اسحق الصعلوكي قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا في البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت في عز ورفعة

فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه وارجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا الى هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بحية عظيمة فى فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها اشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع (شعر)

يا نسيما هب من وادى قبا * خبرنى كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

*(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر فى بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت فى يده ففكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار كانى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك مقاليد امرى فاقبلنى وارحمنى ثم اقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا اخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعلى بى كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاى يرى ذلى فيرحمنى ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل اخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بنى ارفق بنفسك فقال دعينى أتعب قليلا لعلى استريح طويلا يا أماه ان لى غدا موقفا طويلا بين يدى رب جليل ولا ادرى أيؤمر بى الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بنى خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا اساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذ فى البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ فى بعض الليالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكى حتى غشى عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبى وقرة عينى أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجدينى فى عرصات القيامة فاسألى مالكا خازن النار عنى ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى ايها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير اكثر جمعا ولا اغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض اصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر فى الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون

ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا اخبروا عني والدي بذلك
*(وحكي) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم انتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من احبابنا لانكله الى غيرنا *(وحكي) ابو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني باعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الشباب فقال لي اتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى اوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي اشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت انت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا انا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في ابتدائه وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند راسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من اولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فاخذت في غسله وانا ارتعد فلما ادرجته اتت الجارية وهي اخته فقبلته وقالت اما اني سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لي وقالت ارسل الي زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه انت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت اهلي فقصصت عليها القصة واتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وانزلتها على اخيها رحمة الله عليهما (شعر)

احبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لاتصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سحا بعدكم بدماها
يراني بسام الخلي يظن بي * سرورا واحشاي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله ايامًا بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها

(وحكي) سري السقطي رحمه الله تعالى قال ارقت ليلة ولم اقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا انا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول

تغل يدي الى عنقي * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبد * احس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * انا سكرانة وقلبي صاحي
لم غللتم يدي ولم آت ذنبا * غير هتكي في حبه وافتضاحي
انا مفتونة بحب حبيب * لست ابغي عن بابه من براح
ما على من احب مولى الموالي * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها ابكيت بكاءً شديدا فقالت يا سري هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هي تكلمني اذ جاء سيدها فلما رآني عظمني فقلت والله هي احق مني بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود في حجرها وهي تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودّا
ملأت جوانحي والقلب وجدا * فكيف أقر يا سكني وأهدا
فيا من ليس لي مولى سواه * تراك رضيتني بالباب عبدا

فقلت لسيدها أطلقها وعلي ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت لا تعجل عليّ فقال تكون في المارستان حتى توفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني تدمع وقلبي يخشع وأنا والله ما عندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل علي رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفني يا سري قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بي هاتف وقال لي يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطي خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبري
ضاق من غلي وقيدي * وامتهاني منك صدري
ليس يخفى عنك أمري * يا منى قلبي وذخري
أنت قد تعتق رقي * وتفك اليوم أسري

قال سري فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكي فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتني ما بين الخافقين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبي لا توبخني فالذي وقع لي من التوبيخ كفاني وأشهدك اني قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله تعالى واني هارب الى الله تعالى فبالله لا تردني عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك قال يا أستاذي ما قبلني مولاي لما ندبني اليه ورد علي ما بذلت أشهدك أني قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سري فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان

فنزعت ماكان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وولت قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هي امرأة كالخيال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سرى فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هي الجارية فقلت لها ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسني به وحشني من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهي كم تخلفني في دار لا أرى فيها أنيسا لقد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما في قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلي

ولا تحرموني نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلي

فوالله ما يهوى فؤادي سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكى) انه كان في زمن بني اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكي ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالي فصلى ما شاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له في المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلاني في بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عنده بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتي لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتي ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد داثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر في أمرك قال فصبر صاحب السحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا مملوكا واحدا

فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش ولبس هنالك ما يساوى عشرة دراهم الاسجادة خلقة وقدح للوضوء وحصيرة وشئ من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بالحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخى نطلعك على حالنا أو نقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لى فى هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح فى الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فبايعونى وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح زجرا لاهل الشرور وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذى رأيته يوصلنى الى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتى هذه التى رأيتها وهى ابنة عمى زهدت فى الدنيا كزهدى واجتهدت حتى صارت كالشن البالى والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم انى أقمت لى نائبا ينوب عنى طول الجمعة وعمات الى مسؤل فجعلت لى يوما فى الجمعة ابرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا رحمك الله حتى نبيع خوصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسى العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقى ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما فى نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم اردها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لى الملك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معى كما كانت وأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطانى اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر تحيى بعده العلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا
ومرغ الخد فى أعتابه سحرا * واحمل لمرضاته فى الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا أخى سوى * صلب اثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادى فى الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعى قد وصلا

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات

ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني لاخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر واسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شيء أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه *(وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت

مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها و يلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذا لك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأحبابي ليس لي من الامر شئ سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث و يبكي وينادي يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقدهمنا امر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم و زعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق

يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل للشيخ ان الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت يا سيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال أغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار ومن تكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة)*

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا غرر

وقيل من فعل ما شاء لقي ما ساء وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذا ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي

تخاف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله فى المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادة وهى صغيرة فى المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشرى رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القمارى كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمى

ولا ذنب للعود القمارى انه * يحرق ان نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم

(ما جاء فى الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفى ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد اى وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لى من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب فى القضاة والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن فى الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال على رضى الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضى الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ فى حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له اى من لا سفيه يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذ جاء اعرابى فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس

بعز بزمن ليس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المعضلات من الرجال

وقال آخر

فان كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج

* فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

وقال آخر

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذبك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد وأحاديث الاجواد

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ماصرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام ابن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قدمات (ومن عجائب ما ذكر فى الايثار) ما حكاه أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لولا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال لى فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك

الفتى وتخلص هذا الرجل وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فأخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وبجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس فى فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب ان أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه فى المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه جاء اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد اعطيت فيه مائة ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير

رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام ابو علي القالي في كتاب الامالي أن رجلا جاء الى معاوية رضي الله عنه فقال له سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ماقضيت حاجتي فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأي رحم بيني وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لاكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته (وروى) أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له ياهذا أعنا على الدهر فقال لغلامه مابقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب في حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل مايبكيك لعلك استقللت مادفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ماتأكل الارض من كرمك فأبكاني وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال علي دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ماكان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى ان سألني ويروى أن عبد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال ياغلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله اتسخر بي فقال ياغلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا فماأمست حتى كثر خطابها وكان رضي الله عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولايرى الا وعليه دين ومر رجل ببهمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال ياصاحب البهمة أتبيعها قال لا ولكنها هي للذهبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر

اليه رضى الله عنه ولما مات معاوية رضى الله عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبى وأمى أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما انى لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضى الله عنه هو والحسنان وأبو دحية الانصارى رضى الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤا الى خباء أعرابى فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابى شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابى ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابى بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال كفانى اخوانى الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية رضى الله عنه فقال والله ما عندى مثل ما أعطوك ولكن ائتنى بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار فى عقب الاعرابى من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم انك قد أسرفت فى بذل المال فقال بأبى أنتما ان الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضى الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هى بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا لاسخى منى فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائى حتى شربت فقال أجل انى لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على معاوية

مرة فاهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك منها شئ قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن على رضي الله عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأنى تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره انى شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لي في هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة وأجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتي دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة فقال الانصارى جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية انت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خيرا أراناه يقينا

نميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا نميل على أبينا

نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فامر له بمائة ألف درهم وانشده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال

ولم أر في الخطوب أشد وقعا * وامضى من معاداة الرجال

وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سرير فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم انى لست للخلافة اهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتني كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضي بها دينه ومائتا ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين

بها على نوائبه وسوّغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرّفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما راى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى ❊ فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاتى به فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث اخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وتفكر فى نفسه وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن اقد ساءوالله ظنه ولقد هممت ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله ❊ وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد فى دياره ❊ من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا ❊ كأنك تعطيه الذى انت نائله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه ❊ اراد انقباضا لم تطعه اناملة
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه ❊ لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن

دعينى انهب الاموال حتى ❊ اعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله اخبار فى الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما اراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط اتيته فقلت ايها الامير ان رأيت ان تأذن لى فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فأتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا اتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الىّ يزيد وقال ايها عقيل فقلت

افاض القوم فى ذكر الجوارى ❊ فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا انا بخادم قد اتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فكنت عشر ليال وانا على هذه الحالة فلما رايت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت واقنيت فان رايت ان تاذن لى فى الرجوع فاكبت عدوى وامر صديقى فقال انما اخيرك بين

خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاء الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذووا الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما السرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن أبي دواد أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا مقابعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا ألفنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نسلوه فى غد

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضى الله عنه أعرابى فقال يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثناء نلت مكرمة * وليس تبغى بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

انى وان لم ينل مالى مداخلى * وهاب ما ملكت كفى من المال
لا أحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرنى حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بنى لا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا مالديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدرى متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى
وامنحه فرشى وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسى
حذار أحاديث المحافل فى غد * اذا ضمنى يوما الى صدره رمسى

وقال يحيى البرمكى أعط من الدنيا وهى مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهى مدبرة فان منعك لا يبقى عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا وقد أخذ يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بنى مادام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لا تكثرى فى الجود لائمتى * واذا بخلت فأكثرى لومى
كفى فلست بحامل أبدا * ما عشت هم غد الى يومى

وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه لا تستحى من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل اسحق الموصلى عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه

وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر أابن علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان مونى شهوات الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا امير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية بالمدينة وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لى في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضي به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا اكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل اجعله ذخرا لي واجعل الله ذخرا لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودي
فلن أطيعك الا أن تخلدني * فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشترى المماليك بماله كيف لا يشترى الاحرار بفعاله ونزل بأبي البحتري وهب بن وهب القرشي ضيف فسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقرب به أحد منهم وتجنبوه فانكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام ولكن قولي همام يا غلام اعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها نعما فجعلها ابلا اناثا وقال أبو الفياض الطبرى

والعز ضيف لا يرام بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جوادا يوم مات جوادا

وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينها يواقيت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لى ولاترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله ما رأينا فى الدنيا شيأ أحسن منه ولا شيأ حسنا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدى الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته فى كمى ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأيناه فقال اترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمى فأريته الغزال فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فمضينا فلأنا كمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوا أمسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيها الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

يا طلح انت اخو الندى وعقيده * ان الندى ما مات طلحة ماتا

ان الندى ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدنى فقال كل شئ وغمه ووفد ابو عطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فانزله واحسن اليه وقال ما عندك يا ابا عطاء فقال وما عسى أن اقول وانت أشعر العرب غير انى قلت بيتين قال هات ما قلت فقال

يا طالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو فى اعنتها * مع القيان وفيها الف دينار

فاعطاه الف دينار ووصائف وكساه كسوة تجمله فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال ماله قاتله الله من سيد ما اضخم قدره ثم امر له بمثله وقال العتبى اشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابى يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان اراد فى هذا

الاعرابى

الاعرابي فاوصله الي فلما وصل الاعرابي سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فانشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما بيدي * ولا أطيق العيال اذ كثروا
اناخ دهري علي كلكله * فارسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الاريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال أرسلوك الي وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال أنفذه فابقي الانفاذ وان خروج المال احب الي من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطي عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف أعرابي على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال الا بفنائك فامضني بقدر الطاقة لا بقدر الجد والشرف والهمة فأمر له بمائتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء ابن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء لحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبرك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركتها له * وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف ألف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد بني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأشدهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لاهله فريه عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهي عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشأ يقول

رآني على ما بي عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وما هجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذى قد قبضته * ولم يبق في كفى غير التحسر
ابوء بحزن من فراقك موجع * أناجى به صدرا طويل التفكر

فاجابها بقول

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
عليك السلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بارض اقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة بخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام فى تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المامون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فانشدته

لقد رجونك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال يا سلامة انظر اى شئ فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المامون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ ابو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان احمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر الف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ فى داره الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما ايها الامير انى اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفاعطى ام ارد فال فاطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان

وما شم أنفى ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا ممضيا فا فتغدى عنده أعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشأ يقول

كل يوم كانه عيد اضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها الف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر أن اباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى اهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا ادعك تقاسى الذل على ابوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الا ما اجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد امرت لك بمائة الف درهم فاخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى اتاك خصمك منه فارجع الينا متظلما وقال الاعمش كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) ابو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس ابلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا و للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام واتم

نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعث من فلان الميت شيأ قال نعم بعثه بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبه نخذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته * وروى عن الهيثم بن عدي أنه قال تمارى ثلاثة نفر في الاجواد فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الاوسي فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى تنظر بم يعود فتحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية يا قيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار وما في دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها ولولم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ودّ صديق * فاختبر ودّه من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فاعتق فاخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الي وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق يمناه الندى وشمائله
هو البحر من اي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكف حتى لو أنه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا في الجناحين بعدما * تساقط مني الريش أوكاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله الطائي وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادي وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور وأما خالد بن عبيد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشده يقول

يا واحد العرب الذي * ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخباره كثيرة وآثاره في الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا الى طيء فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء له فاذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الكريمين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما أن أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم

الاخلاق قال ابن الاعرابى كان حاتم الطائى من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا اسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدى ماترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشئ نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب بلحيته على زوره وادخل يده فى رأسه فاقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله وما عندى ابن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك يا ماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما جاد بفرسه فى سنة مجدبة (حكى) ان ملكان ابن أخى ماوية قال قلت لها يوما يا عمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى

أغث فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فاذا شئ قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ماهذا فقالت يا أبا عدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضرى صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوى وكلى وأطعمى صبيانك فاكلت المرأة وأشبعت صبيانها فايقظت أولادى واكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا هو اللؤم تأكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ماذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طيئ موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقى والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديى طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيئ * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعى الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدى الضلال وتأتى الاضياف على نباحها والحكايات فى ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففى مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على ممر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاخترأى الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم)*

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد ابن صفوان فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا

اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل ابن هرون كتابا في مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فنن

ذريني واتلافي لمالي فانني * أحب من الاخلاق ما هو أجمل

وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره

ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله في ذهابه وايابه بغير مؤنة * وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب بخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما اعاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جدا امتدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كدنا نموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر في أي مكان رميته فاتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف

أبو دلف لخبزه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدافع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فاتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عود ا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الاعود اعطشانا

ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينا أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لو اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن القتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدى نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان قالت يا أبت ما دمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فانهم الى كثروا أم قلوا * وألأم اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف اكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

وأكل أعرابي مع ابي الاسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال أعرابي لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم وللحمدوني

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * بيت لم يرد فيه القيام
أبي وابنا ابي والكلب عندى * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لي يا ابن كلب * على خبزى أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فاين هذا من القائل

بخيل يرى في الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا

اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

وقال آخر

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له فى العالمين خليل

وقالوا اذا سالت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعى الهمدانى

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
وانى لارجو أن أموت وتنقضى * حياتى وما عندى يد للئيم

وأنشد الجاحظ لابى الشمقمق

ممن تعلمت هذا * أن لا تجود بشى
أما مررت بعبد * لعبد حاتم طىّ

ومما قالته الشعراء فى البخلاء وطعامهم فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير فى بنى تغلب

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وله ايضا فيهم

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتمنع البول شحا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم * والقمح خمسون اردبا بدينار

فاين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

وقال بعضهم فى بخيل

أتانا بخيل بخبز له * كمثل الدراهم فى رقته
اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته

وقال آخر

تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كانا بينهم اهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

وقال آخر

وجيرة لا ترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تطبخ النار

وقال آخر واجاد

فصدق ايمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافعت بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام
من لايقيل ولا ينيل ولا يشم له طعام

وقال آخر

خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فاما جوده فعلى الذباب * وأما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

زففت الى نبهان من صفو فكرتى * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بامواجه * فى ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوأة خردلا * ماسقطت من كفه واحده

وقال آخر

ياقائما فى داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائده
قد مات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
فلو أبصرت ضيفا فى منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

وقال آخر

لا تعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقى الارض احيانا

وقال ابن ابى حازم

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا احد يعد ليوم خير * ولا احد يجود على عديم

ومن رؤساء اهل البخل محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة

من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستسهلوا شتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن اقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال احدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا واخذت عظامه فوضعتها على باب دارى اتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى اكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون اولاده ترمقه فقال ما اعطى احدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وامصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الأوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هى ام لعامين قال لست بصاحبها فقال الأصغر يا أبت امصها ثم أدقها واسفها سفا قال انت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابى على ابى الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابى اما انى قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لابد لها ان تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت امها قال مات احدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما اطيب طعامك قال لاجل ذلك اكلته وحدى ووالله لاذقته يا اعرابى *وقيل خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه أعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحى نبحا قال فما حال جملى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت فى سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما

كان من الغدر أيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه أعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما للضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

*(أما اباحة الطيب من المطاعم)* فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنا كم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس فى اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا احوج من ترك الخبيص *(وامانعوت الاطعمة وما جاء فيها)* فقد نقل عن الرشيد أنه سأل ابا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا اقضى على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا اللقمة ومن هذا اللقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما اردت ان أقضى لاحدهما اتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وام جعفر فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابى بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له

هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانه يشد القلب الحزين وهي شجرة أخي يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول أكل القر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف علي أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لي أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لابي الحرث ماتقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا في صدرى والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لاتعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضي الله عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا امائدتي بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقي اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لايتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يارسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفي الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم

ساس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أو لم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ما عملت الاقبل ان توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان اباجهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعاله بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل السائب على على رضى الله عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك * وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

*(وأما الزهد فى المأكل) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول اف اف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضى الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

*(وأما ما جاء فى آداب الاكل)* فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا

وعليك خلقه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله اوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل احدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الأكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الأكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وارفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما عاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة عليكم بباكرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروأة قيل وما اعانته على المروأة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من لقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة اخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله عنهما دجاجة ففككها فقال معاوية هل بينك وبين امها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين امها قرابة أراد معاوية ان الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله عنهما وحضر أعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك *(وأما ما جاء فى كثرة الاكل)* فقد روى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال

رجل من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها
وقال علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم
اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب
الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل
وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفي الي طعامي
فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشتري غلاما فألقى بين يديه
تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس
السوء والجليس السوء خير من الأكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال
اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت
أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن
الأكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه
صاحبه وافترقا

*(وأما أخبار الاكلة)* فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب
ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك ملح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب
حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا الحمار وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما اصبح طلب حماره
ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني ما أكلة بلغتني
عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على
ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل
الي وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعي ان سليمان بن
عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه اذا أتي بالسفود وعليه الدجاج السمين
المشوي لا يصبر الى ان يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى
يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس اني عرضت على جباب
سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمر لي بجبة منها فكنت اذا
لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص
قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الي وقال يا شمردل ما عندك
ما تطعمني قلت عندي جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن
فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا الفخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم
فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام
فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب

فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال أعرابي لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسج اضراسك * وقال ابو المحسر الاعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة في ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الاخصتني بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لي فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله ان تسبق عيني الى لقمة طيبة الاسبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة * و يقال فلان يحاكي حوت يونس في جودة الالتقام وعصا موسى في سرعة الالتهام * وقيل لابي مرة اى الطعام احب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولي السوء في مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازني اولم لي ابي لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان اول من جاءنا هلال المازني فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم اخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم اتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها في شدقه وفرغها في جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل في كل يوم خمس اكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بني شيبان الغداء اصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين في أحدهما تين وفي الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى اتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدي فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فالقي اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقي اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهري انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبي سفيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب اين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني أن بها طبيبا حاذقا اسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي

*(واما المهازلة على الطعام)* فقد روي عن يحيى بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال قالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله أصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا

يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل الجدوني على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات في ذلك كثيرة

*(واما الضيافة واطعام الطعام)* فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وقال الحسن كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهرى اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة ايام * وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه * وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى ان افد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

*(واما آداب المضيف)* فهو أن يخدم اضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا * وقل مرحبا اهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائى

سلى الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى انه أول القرى * وابذل معروفى له دون منكر

وقال آخر فى عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله

ولله در القائل

الله يعلم أنه ما سرنى * شئ كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتنى * ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له * الا الذى حرمه الخالق

وقال الاصمعى سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق فقال أوما سمعت قول عاصم ابن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

اضاحك ضيفى قبل أنزل رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر

عوّدت نفسى اذا ما الضيف نبهنى * عقر العشار على عسر وايسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة ومن اداب المضيف ان يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى اسحق بن ابراهيم الطاهرى الى أكل هريسة فى بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من اصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فخاف أبوه على امه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وارادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا

على ولدى فانه بالامس سقط من على السطح فمات ساعته فقالوا له لم لا اخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغى لعاقل ان ينغص على اضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلمانه بحفظ نعال اضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم وتسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخدع لا يمكنه الله منا والاليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه ان يسمر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى اضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا ضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى ايوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له يا لكع اتل على آية الاكل فتلا ولا على انفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن اضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندرى أيهما اعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لقم اخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف *(وحكى)* عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى اضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لا يضىء ورسول بطىء ومائدة ينتظر لها من يجىء ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالامام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف على المضيف فرض

اعرض طعامك وابذله لمن اكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن نملا

ولا تمكن سابري العرض مختشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كانه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يحبسه طعامه ويصف زباديه ويشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها واشهاها الى النفوس ويعتذران في اصحابه من يحضر بالغداء عنده * (وحكي) * عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل فحمل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل ان يرفعه فظن البخيل ان ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك *(وحكي) عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت امضي الى دار فلان لا تغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لاقات لك عليه الا ان أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتفخيمه *(حكي) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه انا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذى يقول

قالت أماترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم

قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم

فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم

ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب

فبات له منا الى الصبح شاتم * بعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين

*(وأما آداب الضيف)* فهو أن يبادر الى موافقة المضيف فى أمور منها الا كل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف امكن * فقد حكي انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما احتاج الى مكان ابيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك *(وحكي) عن بعض التجار قال استدعاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه واذا باطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثرى في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فاكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه

بغلمه فاستدعانى اليه فقال لى يافلان انى قليل الاكل بطىء الهضم ولقد طابت لى مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عنى قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه فى طلبى فحصل لى بقربى منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شئ من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه فى مكان واكرمه به وان لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل فى بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على اضيافه سئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذى يظهر لى من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وما أظن سوء اخلاقه الا لسوء ادب الاضياف ولا بد ان اتطفل عليه لارى حقيقة امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفى قلت نعم فسار بين يدى الى ان جاء الى باب داره فأذن لى فدخلت فأجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث اجلسنى واعطانى مسندا فاستندت اليه فاخرج لى شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لى ما استطابه وانا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا واراد أن يسكب الماء على يدى فلم امنعه من ذلك واراد الخروج بين يدى بعد ان قدم نعلى فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت يا سيدى انشدك الله الا فرجت عنى كربة قال وماهى فأخبرته الخبر فقال والله ما يحوجنى لذلك الاسوء أدبهم يصل الضيف الى دارى فأجلسه فى الصدر فيأبى ذلك ثم اقدم اليه الطعام فلا اتحفه بشئ مستظرف الارده على ثم اريد ان اصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم اريد ان أشيعه فلا يمكننى من ذلك فأقول فى نفسى لا يحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك أشتمه واهينه بل واضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغى للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته * ان شاء أن ينصف او أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا أن يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتبع طريق الشرهين كن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرقخ والمرشش والمفنش والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامى والجنخ والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا الناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعدها على اصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يجعل اللقم فى جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حنين البابع حتى لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض اصابعه فى

الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة بأطراف اسنانه حتى يهذبها و يضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم و يأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه يمنة و يسرة لاخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف اللقمة و يعيد باقيها فى الطعام من فيه والمخلل هو الذى يخلل اسنانه باظفاره والمزبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرغخ هو الذى يرغخ اللقمة فى الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذى يفتش على اللحم باصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذى ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول ان يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأتى قدامه ما يحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تولك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استحكم جوعه استغنى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على اصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم و يستوحش من غيبتهم و يسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا انه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين اكلت قال اكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشترى شيأ فاذوقه فيحرج صاحب المنزل و يخجله اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلاى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد ان يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم اخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول انا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتى وكثرا هذا الفن تشرقى

ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكونه لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عابه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ماهي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه انه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن انه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن وما أكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور انفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا واصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الي العفو حتى اني أخاف ان لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا الي الا بالجنايات وقال علي كرم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضي الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك اعني فقال له وعنك اعرض وكان الاحنف

رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما اذا في أحد الا أخذت في امره باحدى ثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان دوني اكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصر لي من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه في الحلم كما نختلف الى الفقهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد اتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخي اطلقوه واحملوا الى أم ولدي ديته فانها ليست من قومنا ثم انشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذي يجب على العاقل اذا امكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه الا ان يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا امير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعي الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل الى بني علي والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي اعظم من نقمتك وعفوك اعظم من ذنبي ثم قال

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما * فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل

فان لم اكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة واحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا امير المؤمنين أنا ذلك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله واحضر الى الهادي رجل من اصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا امير المؤمنين ان اقراري يلزمني ذنبا لم افعله ويلحقني جرما لم اقف عليه وانكاري رد عليك ومعارضة لك ولكني اقول

فان كنت ترجو في العقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق او باطل ما امضى لسانك واثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضي الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن امه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم انا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال اصلح الله الامير انت اكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال اني لا امل دابتي حتى تملني ولا امل رفيقي حتى يملني فقال اصلح الله الامير اما العاص فقد عرفنا وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت امي النابغة بنت حرملة بن عنزة سبتها رماح العرب فأتي بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وانجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وارسل عنان الدابة وقيل ان امه كانت

بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد ابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى اخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان ابن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم احد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن ابى طالب رضى الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم احدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه اخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروأة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما اشبه استك باست امك فقال ذاك الذى أعجب اباسفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن ابى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن ابى طالب اما بعد يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فاين اخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله اساء امير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى ان يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى ان لا اراك ولا ترانى
ولست اقول سوأ فى صديق * ولكنى اصد اذا جفانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضى الله عنه انه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص اصحابه وذاكرهم وقائع ايام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من اهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها اهل لذلك فقال لهم معاوية رضى الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا ما قلتم أيحسن ان يشتهر عنى اننى بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك ابدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها

وفرسان من قومها ومهدلها وطالبنا ومركباً ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه
عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه
خزا مبطنا ثم احسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا واهلا خير مقدم قدمه
وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت
لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين
الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير
المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده
الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد
سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر
وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا
أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم
وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر الا وان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور وعاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له
ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم
سفكه فقالت احسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وادام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر
جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه فقال
لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك
تقض فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا اسأل أحدا بعد علي حاجة فقال
قد اشار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو اطعته لشاركته قال كلا
بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا
وتجاوز عمن أساء واعطى من غير مسألة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة
تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والي الكوفة
بالوصية بها وبعشيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد
يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية
في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية
ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي ولك شان والسلام فلما وقف
معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ما ترى قال أرى ان
تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني
ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب
ولد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه والدنيا باسرها هينة عندي
في جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فاضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه

كتب اليه قد وقفت على كتاب امير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى احله
من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به الى ابنه
يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل الفيل دمشق
واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض
الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه
على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على
هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال
نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول
الشاعر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا اربط جاشا وأثبت جنانا من
رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى امية فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه
فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى عندك لبنى امية فاخرج لنا منها
وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم
فى اموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور وتفكر
ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين فى حقوقهم واريد
ان آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت اموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة
بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى امية قد كانت لهم اموال غير
أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق
وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا ان نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى
يا امير المؤمنين ان تجمع بينى وبين من سعى بى اليك فوالله الذى لا اله الا هو ما فى يدى لبنى
امية مال ولا وديعة ولكنى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول
الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك اقرب الى الخلاص
والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى
اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند امير المؤمنين
قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فاقر بأنه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وسعى به
كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ ان تعفو عنه فقال
قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة الآلاف التى أخذها وثلاثة آلاف اخرى ادفعها
اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا امير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة
كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول
ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع
والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما افزع من الموت

لانه لا يندمنه وانما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وامير المؤمنين ساخط على ففضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وماهى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن ابوك قال يامولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه * وامر الحجاج بقتل رجل فقال اسألك بالذى أنت غدا بين يديه اذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه * ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى برجل من بنى تميم فقال والله ياحجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب احسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم بن المهدى يقول والله ماعفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان * وفى بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض *وقال يزيد بن مزيد أرسل الىّ الرشيد ليلا يدعونى فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل انا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها الأم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت ياأمير المؤمنين ماقلت هذا انما قلت انا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يافضل اعطه مائتى ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ماأقبح بى ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فاتعلق باطوافك وأقول اى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال اطلقوه فلما اطلقوه قال ايها الامير اجعل ماوهبت لى من حياتى فى خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

*وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكننى الله منه لافعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة ياامير المؤمنين قد صنع الله ماأحببت فاصنع ماأحب الله فعفا عنه وامر له بصلة * وقال الحسن ان افضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال ابو تمام

رقيق حواشى الحلم لو ان حلمه * بكفيك ماماريت فى انه برد

و يقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ماشئ اشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد علىّ من كلامه (شعر)

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفى التوراة اذكرنى اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر وارض

بنه رق فان نصرق لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فأندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يباعدنى من غضب الله قال أن لا تغضب و يقال من أطاع الغضب أضاع الارب قال ابو العتاهية

ولم ار فى الاعداء حين اختبرتهم * عدوا العقل المرء اعدى من الغضب

وقال ابو هريرة رضى الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالمرء اثما ان يقال له اتق الله فيغضب و يقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبى فقم الى بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثانى اذا سكن بعض غضبى فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبى فناولنيها وكان فى الاولى اقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذلك روى أنه انوشروان وكان الشعبى اولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن انس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء وروى ملأه الله امنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا يشفى غيظه * وقال ابوذر لغلامه لم ارسلت الشاة على علف الفرس قال اردت ان اغيظك قال لاجمعن مع الغيظ أجرا انت حر لوجه الله تعالى * واستاذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضى الله عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك ابن مروان اعرابى يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول (شعر)

يدى يا امير المؤمنين اعيذها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه ام حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بنى وكاسبى وواجدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير

المؤمنين

المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله

(شعر)

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا أخا عفو وصفح * ولا لأخ على عهد وثيق
اذا زل الرفيق وانت تمن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا انت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدري لعلك مستجير * من الرمضاء فرّ الى الحريق
فكم من سالك الطريق آمن * اتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني ابيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن احييها كبيرا واني لا اكافي من عصى الله في باكثر من ان اطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد امر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات اقولها قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
اني لمثلك لا اتم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وافلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله قال الشاعر

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

قال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر

اذا ذكرت أياديك التي سلفت * مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي
أكاد اقتل نفسي ثم يدركني * علمي بانك مجبول على الكرم

وروي ان عمر رضي الله عنه رأى سكران فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبني فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسي فلا احب ان اضرب مسلما لحمية نفسي * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فامر بضرب عنقه فانشأ يقول

ونحن الكاتبون وان اسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله واكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا * وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل اوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يابنى اذا أردت ان تؤاخى رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره قال الشاعر

اذا كنت تختصر النفس لك صاحبا * فمن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الأوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطريق فلما اقترب من المنزل وقف الاحنف وقال له يا هذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى اخاف ان يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لا نحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه ومن اشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو اصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال آخر

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمى اصم واذنى غير صماء

ويروى فى بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضر قوما من

خاصته فلما مد السماط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال ايها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره واخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو منتقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المومنين ثم قال هذه الابيات

ذنبي اليك عظيم * وانت أعظم منه
فخذ بحقك اولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم اكن في فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى اعظم مما تحاولوا واكثر مما تأمل واقد حبب الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد اموا له جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان جحدتك ما اوليت من كرم * انى لبا للؤم أولى منك بالكرم

*وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن اسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلني فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت انا بنته فاسمع يا حجاج منى ما اقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

الحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وار بعا
الحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة بن حصن على ابن اخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذى يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أوشبانا فقال عيينة لابن اخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى) أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل ابن الربيع تتضمن انه اطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل اتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى ستر الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان ان يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان اكثر الناس حلما واحسنهم خلقا واكرمهم تجاوزا وصفحا وابرهم للمعتر عليه فجاصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

وأما ما جاء فى العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال ابو الحسن بن منقذ (شعر)

اسطو عليه وقلبى لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقى
واستعيرله من سطوتى حنقا * واين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من محركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

وكتب

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسنا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة * الي بها في سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ

اخلاقك الغر السجايا مالها * حملت قذى الواشين وهي سلاف
ومرآة رأيك في عبيدك مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لي عليك حسيبا
اكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذري ان اجبت بمثله * اوكنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقاص مودتي * فيعد احساني اليك ذنوبا

وقال آخر

اراك اذا ماقلت قولا قبلته * وليس لاقوالي لديك قبول
وماذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسي تائها * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وتنكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولي عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر في المعنى

دعوت الله ان تسمو وتعلو * علو النجم في افق السماء
فلما أن سموت بعدت عني * فكان اذا على نفسي دعائي

وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت اقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعني اليك اذا نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

وقال ابو الحسن القابسي

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط بأقلامي على الماء احرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال ابو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق اهون من فقده وما أحسن ما قيل في العتاب

وفي العتاب حياة بين اقوام * وهو المحك لذي لبس وايهام

فما شيء أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوي الالباب والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)*

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استدل به ارشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات في ذلك كثيرة ومن اشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * وروي في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وانشدوا

إذا قلت في شيء نعم فاتمه * فأن نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي ايضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أقمني حيث يعرفا قامه فرقا فأخذ بلجام بغلته وانشأ يقول

اظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع * ولا غيثها ياتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي

ان جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلي ام ولد فامر المنصور الربيع ان يعزيه ويقول له ان امير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها ادب وظرف يسليك بها وامر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل

الهذلى بتوقع وعد امير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلى فقال المنصور وهو بالمدينة انى أحب ان اطوف الليلة المدينة فاطلب لى من يطوف بى فقال الهذلى أنا لها يا امير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذى اتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعد به الهذلى فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء اكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

وقال آخر

ولقد وعدت وانت أكرم واعد * لاخير فى وعد بغير تمام

انعم على بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر

لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر

وقد جمعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر

وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام

يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر

شكالك لسانى ثم امسكت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك ينطق

فان لم تنجز ما وعدت تركتنى * وباقى لسانى بالمذمة ناطق

وقال آخر

بانت لوعدك عينى غير راقدة * والليل حى الدياجى منبت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر

تذكر بالرقاع اذا نسيتا * ويأبى الله ان تنسى الكرام

واما الوفاء بالعهود ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها ان النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه احسن اليه واغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فاخرجته

الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد اقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لي في أن اوصل اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك واسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع اطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

ياشريك بن عدي * مامن الموت انهزام
من لأطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
ياأخا كل كريم * أنت من قوم كرام
ياأخا النعمان جدلي * بضمان والتزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو ان يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت ان ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله مارأيت أعجب منكما أما أنت ياطائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولاذكرا يفتخر به وأما أنت ياشريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون انا الأم الثلاثة الا واني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ماحملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لاوفاء فيه لادين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وانا له ماتمناه * ومن ذلك ماحكي ان الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام واطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال ياأمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد ابي طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه

من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط اهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف لى باطنه وابحث عن دفين نيته واتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله ابن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولى الامان قال نعم فاظهر له ما أ... ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أوتنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فارى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا على أفتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره به ورقة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجار بن وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هنالك فان كان حيا فأحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن اولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور واخبرناه بذلك فسير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا انى مررت يوما والدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الى واستجلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيأ فاعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما الى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وازيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى أنك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما

تجدد لى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أ كلنا اليوم وغت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى و بينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت مارأيتم ثم زاد فى احسانه الى بنات المخيم وفاء لوالدهما بما وعده والله اعلم * ومما اسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الامثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عاديا وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندى لما أراد المضى الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا ادفعها الالمستحقها وابى ان يدفع اليه منها شيأ فعاوده فابى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا اترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من اعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامى وابطل وفائى فاصنع ماشئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال فى الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموأل فى الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه * ومما وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى ترواهذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى منادللخليفة فى يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفى * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها وردها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير

المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائبهم وردهم
وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى
ايادى خطيرة أفتأذن لى ان احدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن
المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت
الى بيع مسقط رأسى ورؤس اهلى اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق
ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد
ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد اعددتها لاستتر بها الناس فلبستها
وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة
فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت
فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وانا اقدم واؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن
صناعتى واذا بخادم قد اقبل فدعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت
معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه
عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذر خداه قد اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم
ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة
من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى
فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج
بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا
بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن
فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا
عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية
فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم
ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا اجسر على اخذ الصينية فغمزنى
الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت
التفت الى ورائى مخافة ان امنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى
اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى
ثم امرنى بالجلوس فجلست فقال لى من الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى
موسى فاتى به فقال له يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض
موسى على يدى وادخلنى الى دار من دوره فاكرمنى غاية الاكرام واقمت عنده يومى وليلتى
فى ارغد عيش واتم سرور فلما اصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على
هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمنى
غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى اخوه احمد ثم لم ازل فى ايدى القوم يتداولونى عشرة ايام
لا اعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم ام فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر
جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا الى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه

سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر
الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى هه ما كان لك من
الحوائج فارفعها الى فانى مامور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس
حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون
فى الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين
وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا امير المؤمنين
مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب
اصطنعونى فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من امير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفنى عمرو بن مسعدة
والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت فى اواخر
الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الى واشكرهم على احسانهم فقال
المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير المؤمنين
هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل
ما استأديته منه فى مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه
فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فلم تبك قال يا امير المؤمنين وهذا أيضا
من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم واندبهم حتى اتصل خبرى بامير المؤمنين
ففعل بى ما فعل فمن أين كنت اصل الى امير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون
وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم
فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده
فانظر الى حنينه الى اوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه
قال الشاعر

سقى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست اعلامه ومنازله

وقال آخر

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمى كنت جالسا فى ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان
وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض فى الفقه مرة وفى المذاكرة مرة وفى اشعار
العرب وامثال الناس مرة فكنت لا اجد عند احد ما اجده عند عبد الملك بن مروان من
الاتساع فى المعرفة والتصرف فى فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا
حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن
حديثك واقبالك على جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى والاعناق
نحوى متطاولة فاذا صار الأمر الى فلعلك ان تنقل الى ركابك فلأملأن يديك فلما
افضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى أعرض
عنى فقلت لعله لم يعرفنى او عرفنى واظهر لى نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن
خرج الحاجب فقال اين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدى وأدخلنى عليه فمد الى يده وقال انك

تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الامارأيت فاما الآن فمرحبا وأهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال لي أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ماهو بميراث وعيناه ولا اثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بي انفسي الى الموضع الذي ترى ماخنت ذا ود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا اعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه منزلا في الدار فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا حسنا فكنت في ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أي الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة أو الرجوع الى اهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت اهلي وولدي على اني ازور امير المؤمنين واعود اليهم فان امرني امير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك اتراني قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعدا اذا شئت صحبتك السلامة ومن ذلك ماروي عن أبي بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده ابا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق او يغادي

فقلت في هذا والله قد اتيتك ثم امسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال ابو بكار ناشدتك الله الا ألحقتني به فقلت له ما الذي حملك على هذا فقال اغناني عن الناس فقلت حتى استأمر الرشيد ثم احضرت الراس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا اكد في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى قال ابو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن اين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا اقلهم * ذئاب على اجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله يفعل كذا وكذا فقال المنصور وعليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي فقال له المنصور ارجع يا شيخ فاني اشهد انك لوفي حافظ للخير ثم امر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته مالبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد ابقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فخيلت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين تنظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في امير المؤمنين بعلا فنظرت الينا

ثم انشأت تقول

فان تسألاني عن هوای فانه ✽ يجول بهذا القبر يافتيان
واني لاستحييه والترب بيننا ✽ كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ماروى عن نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما
ان عثمان لما قتل اصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت مايعجب الرجل مني
قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء
بني كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته الف الف
وقال له انج بهذا فاخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به احد بعدك ولما قدم
هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة
فامهله حتى آتيك بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن
داره فمضت الى السوق واتت الى قصاب فقالت اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وانا
اردها اليك فاخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من
اصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت
اتراني ناكحة متزوجة بعد ماترى فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزاك الله من حليلة
وفية خيرا ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختاما هو اوجزها كلاما وأحسنها انتظاما وابينها
حكما واحكاما وهي قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا
ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين احدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحازمن مقترحات مناه
ماامل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر
مخرجا وهو ماذكره عبدالله بن عبد الكريم وكان مطلعا على احوال احمد بن طولون عارفا
باموره عالما بورده وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا
مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء وفطنة
واحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتدرب فلما حضرت أحمد بن طولون
الوفاة اوصى ولده ابا الجيش خماروية به فاخذه اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير
ابو الجيش اليه وقال له انت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي أني آخذ العهد على كل من
اصرفه في شيء انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في امواله وقدمه في اشغاله فصار احمد اليتيم
مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون
يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في اموره
بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة القلانية ففي المجلس حيث اجلس سبحة جوهر
فائتني بها فمضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من
الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى احمد وعرضت
نفسها عليه مودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن الى واخذ
العهد على ثم تركها واخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة
الخوف من احمد بعد ما اخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فلما قامت أيلمة

لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها
بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض اشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية
غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة
العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما اعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجيدة السعيدة المسعدة
الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة
محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب
اضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره
فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى احمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على
الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعانت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها
وقالت ان احمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم
في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت
اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقال لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك
الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه
واحضر عنده ندماءه الخواص وادناهم لمجلس قربه واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم
يخطر بخاطره شئ ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الامير واخذ منه الشراب شرع
في التدبير فقال يا احمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير
المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه احمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية
الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للامير امرني
باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل
بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له
امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى
الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم
فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص
عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ
الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره فقال اتعرف لهذا الفراش خبر
يستوجب به ما جرى عليه فقال ايها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت
رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك واخذ احمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من
حديث الجارية من اوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير ابو الجيش
بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاها اياه وامره بقتلها ففعل
وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة جميع
ما يتعلق به بيديه فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة
التلف بعد امضاء القواضب وتفضي بصاحبها الى ارتقاء ضوارب المراتب فهذا الغلام
لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق

نيته وقصده دفع عنه هذه الغائلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا فى طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من انواع رحمته وأقسام نعمته ما لا مسلك له من بعده وقالوا ليس شئ أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى ان تموت والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

*(الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)*

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما اوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين اى بمتهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان امناء الاسرار أقل وجودا من امناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان اوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان اضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا انا عن اسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل

نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن احسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر

ولها اسرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوي فقال

اني كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا * في حبها برشاده او غيه
ولها اسرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعي سرا تكتمت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الحطيم

اجود بمكنون التلاد وانني * بسري عمن سالني لضنين
وان ضيع الاقوام سري فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

ياذا الذي اودعني سره * لا ترج ان تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في اذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما افشيت سري الى احد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدري به اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه علي قال الشاعر

اذا المرء افشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وافشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فانا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لأعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال افرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وانساه كأني لم اسمعه * وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الاسرار أذني فانما * تصب بماء في اناء مثلم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تغلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي

اناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبي حيث قال

وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

## الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول

(الفصل الاول في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجل الاشياء عقوبة البغي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وكم اوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما احاطت به علوم ذوي الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من انصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية أو ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية أو ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل ان يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم اتى الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا اقبلها أنا فقبض ابو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا امير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله ان يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فانا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف اذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره واعقبه نفاقا يجزيه يوم فاقته وفقره فأي خزي أرجح من ترك الوفا بالميثاق وأي سوء اقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره

في جشبيل المكارم قال الشاعر

غدرت بامر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وانا انوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها واخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن اربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت اي حاضت فخرجت من الربض وكانت من اجمل اهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل اهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم اطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وانا اسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة واعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها واثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها اقطاعا قطعه الله ما اغدره * وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرئ فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على ارض العرب وأمره أن يبني له جوسقا فامتثل امره وبنى له جوسقا كاحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفوني اجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني احسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من اعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله * وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله * وابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به واخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها

فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديها وعز نصيرها

أقطع أرحاماً على عزيزة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر في مستقره * ولاحت له شمس تلالا نورها
دفعت عن الامر الذي أستحقه * واوسق أوساقاً من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء أعرابي فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * احاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى بعضهم) قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسراق) قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره وسرق مدني قميصا فاعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال اكتل السلمي وكان لصا فاتكا

واني لأستحي من الله أن أرى * اجرجر حبلي ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنيء بعيره * وأجمال ربي في البلاد كثير

وقال الفرزدق

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلي أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

اخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فدفاعنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو انى بليت بهاشمى * خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

ونث رجل فى وجه ابى عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو ان لحمى اذ وهى لعبت به * سباع كرام او ضباع وأذؤب

لهون وجدى اوسلى مصيبتى * ولكنما اودى بلحمى أكلب

وقيل لكسرى اى الناس احب اليك ان يكون عاقلا قال عدوى قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه فى عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل اخوف من الكاشح المعلن فان مداومة أهل العلل الظاهرة اهون من مداومة ماخفى و بطن وقالوا اياك ان تعادى من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك فى لحافه وقال ابو العتاهية

* تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهى حبلى بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبى خالى وما انا بالذى * أميل وأمرى بين خالى ووالدى

وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتنى حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثارى عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

الم ترنى ثارت ابى كليبا * وقد يرجى المرشح للفحول

غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

*(بيت)*

من العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء ابناء

وقال ذا رعدوك لاحد أمرين اما الصداقة تؤمنك اولفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عنى رسولى * وهل تلقى النصيح بكل واد

تعلم أنا كثير من تناجي * وان ضحوا اليك هم الاعادي

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجي والله انى لابغضك قال ادخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم ان امه تركية وقد علمت في اخلاقهم ما علمت فقال ان الأبناء ينسبون الى الآباء لا الى الأمهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال اواه هلك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن ابي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا اساهمين في نسب او مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أي شئ كان عليك في بلائك أشد قال شماتة الاعداء وانشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل قلبك بالسلو

وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن ابي جهينة المهلبي

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * ان البغايا من بني مرام

اظهرن في موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام

فاقطع هديت اكفهن بصارم * كالبرق اومض في متون غمام

فكتب ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط

حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * اقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

*(بيت مفرد)*

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجاب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك وردّ الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

*(الفصل الرابع فى الحسد)* قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل المحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها اعيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال اعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه ابو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل ان يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من امير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به وقال يا امير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان امير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على امير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير

فقال

فقال ابن تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوى ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك و يعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وانت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد ايام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ماظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من اولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين ان اتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا واعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وماجرى له معه فقال امير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الا كارم آباء واجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولاترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن انس رضى الله عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من اسأت الادب
أسأت على الله فى حكمه * لانك لم ترض لى ماوهب
فاخزاك ربى بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما اطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا الايخلوا السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه الا لاتعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة او شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا قترصدق وابلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لا عاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان يحسدونى على مابى لما بهم * فمثل مابى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس مابال الحسود اشد غما قال لانه أخذ نصيبه من غموم الدنيا و يضاف الى ذلك غمه لسرور الناس و الله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان

*(الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس)* قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله او قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال ياأباموسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها وعن ابن مسعود رفعه ان ارواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان انس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة

ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين احسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثاني في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء واصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويرجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كابه فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم ير قط ضربة اقوى منها ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها اشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي وأفضل العدة ان تقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك والشان كل الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الألوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس

الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن نغيروهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل في الحرب أن يبث جواسيسه في عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوي الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوي أطماعهم في نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم واعلم ان الحيلة لا ترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حياتها وبالا عليها واذا اذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي بقادمدته فمن الحزم المألوف عند دواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الأبطال في القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصر خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فانشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما ذلك اذا حاربنا اكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه * وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد

عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فاهو بالمحو فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم * وقيل لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في اى موضع تريدين ان اضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحكها فرماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه * ويقال ان من اعظم المكايد في الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حمية في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالألف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما ترى فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لي من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يبق واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة واحدة اخلونا مداخلة فرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشار مقدم العسكر على السلطان ان ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولم يحضر من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا واعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في أبطاله رجل واحد *(وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه قال سمعت استاذنا القاضي أبا الوليد يحكي قال بينا المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن

المضحي فقال له المنصور رماسكوتك أليس في هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور
ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة
رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور واغاظ
عليه وأمر به فأخرج على أسوا حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان
فبرز علج من الروم بين الصفين شاكي السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه
رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها
ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادي ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز
اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت ان تكون كسرة
فقيل للمنصور ما لها الا ابن المضحي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا
العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال الآن
يكفي المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور
على فرس قد تهرت أورا كها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في حليته
ونفسه غير متصنع فقال له ابن المضحي ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته
فما الذي تريد قال أريد أن تكفي المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض
وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون
ما هنالك واذا برأس العلج يلعب بها في يده ثم ألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المضحي
عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضحي الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين
وعساكر الموحدين *(وحكي) انه كان بالعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب
والعجم في زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار
وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى ان الرومي كان اذا
سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء فحسده نظراؤه على
كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان
المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط
الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي
فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين
وينادي هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار
سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة
لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها
الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال
ها هو بعيني قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى
على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه
فتعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج

ابن فحون واذا ابن فحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شئ منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد ابن فحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن احواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته اسلا ولا ثم سارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن ابى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر الب ارسلان ملك الترك ملك الروم وقهره وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا الا الب ارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا وصباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فامر الب ارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا الا الب ارسلان بسم الله نحمل عليهم فقال الب ارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان الب ارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا

من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدي الب أرسلان والحبل في عنقه فقال له الب ارسلان ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني قال وهل تشك أني كنت اقتلك فقال له الب ارسلان أنت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقادوا لحبل في عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذي ينادى عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى الب ارسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد انصفك ان الكلب خير منه ثم أمر الب ارسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتي على الملوك اذا اعرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين واهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

## الباب الحادى والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

(الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) * حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير ابن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة * أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضي الله عنه أنه قال والذى نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الى ليعلم اينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لاني كنت ألقى الرجل فاقدر أني أقتله ويقدر هو اني قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد الروغان لا يكاد

أحد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا أمكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنة الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا اقنع الا بصداق اسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامة وان تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن ابى وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت ارحت الناس من شره وأقمت مع اهلك وان اصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم

فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة اربعين وكفن رضى الله عنه فى ثلاثة أثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من ابواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ على رضى الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى احتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فى فانها اعظم المصائب والله الذى لا اله الا هو الذى انزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا اقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد ان يبتاع بها خادما لاهله الا ان امور الله تعالى تجرى على احوالها فما احسنها من الله وأسوأها من انفسكم الا ان قريشا اعطت ازمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اظهره الله تعالى عليه ومنهم من اسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وامور تقضى فى كتاب قد خلا ثم اطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على اذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على ان اقتل أباك وقد قتلته

فان تخلني أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان اقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه اما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله * ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق واكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا ومافى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه * الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يجارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرموز اغتاله وهو فى الصلاة * عمرو ابن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة واحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ماتقول فى السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرقنى القوم وانا قائم بينهم وان ابطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله مانظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركنا رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال انا أبو ثور كدتم والله تفقدوننى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فغار وشب فصرعنى ويروى انه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون الف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس ابن مرداس

اذا مات عمرو قلت الخيل اوطئى * زيد افقد أودى بنجدتها عمرو

طلحة الاسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما فقاتل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من اشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجأش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه * سعد بن أبى وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية * عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه * هاشم بن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعى الاشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه *(الطبقة الثانية)* عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج الا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان ابوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وباليسرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده ابوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا احدث بهذا الحديث غضب مات حتف انفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن ابى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع ابن ابى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قبل ما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف انفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل

جوادجاد بماله و بنفسه قتله عبيد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه و بين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم و بين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بنى امية وفارسها وواليها حروبها قيل انه جلس يوما ليقضى بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت قط حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها اثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شبر ما أصابتنى واحدة منهن وما منعنى من تأخيرها الا الحياء وانت تحليتى قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس اشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن ابى دواد كان المعتصم يقول لى يا ابا عبد الله عض على ساعدى باكثر قوتك فاقول والله يا امير المؤمنين ما تطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرنى فاروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فاقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى اربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار فى الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة واباده فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الامير قال ما جرأك على ما بلغنى عنك قال اصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجنان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلانى الامير وجعلنى مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر انى قاذف بك فى حاجر فيه اسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد افنى عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وحملوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيأ ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ماهو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت اهل الارض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث فى مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وفتك * وصولة وبطشة وفتك
ان يكشف الله قناع الشك * فانت لى فى قبضتى وملكى

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما ان نأذن لك فتلحق بلادك واهلك على ان تضمن لنا ان لا تحدث بها احدا ولا تؤذى بها احدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من امره ما كان * المهلب بن ابى صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم امجاد أبطال الا ان المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا وكان المهلب يقول ماشهد معى حربا الا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر مالقى خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه ابادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف انفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان فى الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الاولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرتها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره فى الشجاعة تدل على مكانه منها قتل فى بعض وقائع الخوارج

(الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * الوليد ابن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض الى ان حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبودلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
[illegible] لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القاتل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل بجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الاوكيل لابى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه
وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى علمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس
فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة
(ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير
مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل
فقال

اخ ماجد ما خاننى يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما صاب أوساط العظام
خليلى لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه
فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه
حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن على رضى الله عنهما

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح بى خبر والله لى وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

يبيت ضجيعى السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا * وفوق رضاه أننى أنا صاحبه
وليس أخو العلياء الا فتى له * بها كلف ما تستقر كتائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير
وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له
عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال اعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمدانى

لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى واننى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كألف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوأة أملا * ففرغوها وأوكوها من الاجل

*(ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد)* قال نزل علينا بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب ان اسمعها وأجمعها فبينما أنا ادور فى بعض أحيائهم اذا انا بامرأة واقفة فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام فلم أر مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستمتاع بما ارى من هذا الغلام فقالت يا حضرى ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فورب ك ما هو الا ان صار ثالث أبويه حتى افضل الله عز وجل واعطى واتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين اسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه واجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتترس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثاراتهم وشاء الله تعالى أن اصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا امعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا ان ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى احرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغيرا لامدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقال كعرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به اولا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كأنه قرم الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم

واقد سمعته يقول فى وجوه فتيات الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
انا ابن ابى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب
ابى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ * جبال الرواسى لانحطن الى الترب
وعرض نقى أتقى أن اعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
فان لم اقاتل دونكن وأحتمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى ابى * يهنينه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال آخر

فوارس قوالون للخيل أقدمى * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم اقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمار

*(ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم)* قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى قاع اطم مع النساء يوم الخندق فاتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعجزت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه ما منعنى من سلبه

الا انه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة * وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فباعها منه فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من اقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدرى أين هى وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من احب الناس الى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ماشئت قال هاتى ولا تخفى شيأ قالت كنت للفتى القرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها دنا منى فوقع على فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على ومابرد ماعنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فأرة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على ان لا تردنى اليه قال لك ذلك * وحدث جار لابى حنيفة النميرى قال كان لابى حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له اسد فقال لرجل من أصحابه اعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رجلا لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما ان تغير فعلك واما ان تغير اسمك * ووقع فى بعض العساكر ضجة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فصير اللجام فى الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفين لحاربة أبى بلال مرداس وكان مرداس فى أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبى زياد فقال لأن يذمنى ابن ابى زياد حيا أحب الى من ان يمدحنى ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فشكى ذلك عليه فشكاهم الى ابن ابى زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفى ذلك يقول بعضهم (شعرا)

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أنازلهم كل ليث مناهز

فتى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض الجنائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

## الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة
وفيه فصول

*(الفصل الاول في المدح والثناء)* المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها او يكون نعتا جيدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الجيدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم انت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي امره عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو اصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

واحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما حججت وزرته صلى الله عليه وسلم نظمت على جنابه المعظم واستشفعت به ابياتا مطولة وانشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكي من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله ياخير الخلائق انّ لي * قلبا مشوقا لا يروم سواكا
وبحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم أنني أهواكا

أنت الذى لولاك ماخلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة محتمى بحماكا
والانبياء وكل خلق فى الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمى بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا اتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لندا كا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل فى يمناكا
وعليك ظللت الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لاأثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من امراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلى من رمد به داويته * فى خيبر فشفى بطيب لماكا
وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قدمات احياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عندد عاكا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر ياعلم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا
اعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا
فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سناكا

قد فقت يا طه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سواكا
والله ياياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعراء يامدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وماعسى * أن يجمع الكتاب من معناكا
والله لو أن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * ابدا وما استطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم ياسيدى * وحشاشة محشوة بهواكا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح علياكا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الاكا
يامالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغناكا
ياأكرم الثقلين ياكنز الورى * جدلى بجودك وارضنى برضاكا
انا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا متمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لجماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله ياخير الورى * ماحن مشتاق الى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى واثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال مامدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال أعرابى لرجل لايذم بلد أنت تأويه ولايشتكى زمان أنت فيه * وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لاينبو وسهمك الذى لايطيش وخادمك الذى لاتأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك

على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمر والزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وقال أوس فى حاتم الطائى

فان تنكحى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

وقال ابن حمدون فى آل المهلب

آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه * وأتى بنوه ما بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لارجو ان اقيمك سالما * أن لا أعالج بعدك الاسفارا

وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * ما ليس يبلغه اللسان المقصل
قوم لاصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعى

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

وقال شاعر بنى تميم

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بنى تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما رماح بنى نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

وله فى الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد

ومن بدائع مدائح المتنبى قوله

لبت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل الاعصر الاول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا لمدحنا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الامير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ماصنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لها طربا وأمر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأ يا امرأتين تتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا ابو دلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله مافى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بالف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت * والليث لولم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يقضى الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وعونه مبذول للضعيف يطاوجوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما فى جوده منتقبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه متى ولم تلاقه باسل تعوّد الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عارا لا تمحوه الايام له خلق لو مازج

البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يعبث بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كأن الالفاظ تحاسد فى التسابق الى خواطره والمعالى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشا وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت فى يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ما صار نحس فى نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
واعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدى

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

واصفى الدين الحلى

أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو انى والخلق جمعا ألسن * نثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابى فراس بن حمدان

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

وقال آخر

ان الهبات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
ما زلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مقتصر

ولمحمد بن مناذر فى آل برمك

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة فى كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنوّر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم * وأقدامهم الا لهى منظفر
اذا رام يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وانشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف
يا أبا اسحق سر فى دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرّفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الاسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا انت معبود
أضحت يمينك من جود مصوّرة * لا بل يمينك منها صوّر الجود
لو ان من نوره مثقال خردلة * فى السود طرّا اذن لابيضت السود

وقال آخر

أوليتني نعماوفضلا زائدا * وبررتني حتى رأيتك والدا

أقسمت لوجاز السجود لمنعم * ما كنت الا را كعا لك ساجدا

وقال آخر

تناولك في الدنيا من المسك أعطر * وحظك في الدنيا جزيل موفر

وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر

أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تغبى وتصغر

لساني قصير في مديحك سيدي * لاني فقير والفقير مقصر

*(الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة)* أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل عن أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اى أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الا ن قد شكرتني وفي هذا المقام الشكر على الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر

فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكرا لي * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذي على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى

عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم وروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبى الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أنى اجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتانى الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ✱ يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة فى المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه ✱ بواجبه وتقضى بعض حقه

فلم تقصد لطاعته ولكن ✱ قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لى فى كل منبت شعرة ✱ لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى أرض سبخة لا يجف ثراها

ولا يثبت من عاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الاعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا ابا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لاشكرن للمعروف ما هممت به * فان همك بالمعروف معروف

ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال ابو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر بمانعتى أخرى

سآتى جميلا ما حييت فاننى * اذا لم أفد شكرا افدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اعطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلم يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض

شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى

وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكرها فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا انى اجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزاد لك الشكر

وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر

أولينني نعما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الامور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وان امت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

وقال آخر

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الىّ فلم ينهض باحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا

ان ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كانى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافأة)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يارسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لأصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكرنى اذ فاجاك ذوسفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر ربا على صوته ادن منى فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردّ عنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وما هى قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فاخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فاين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتى ألف درهم وبما عليك الحاجب اذ حجبك عنا وقال قطرى بن الفجاءة الخارجى أسره الحجاج ثم منّ عليه فأطلقه فعاود قتال عدوّ الله فقال هيهات شدّ يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقرّ بانها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته

أأقول جازى لى لانى اذا * لأحق من جارت عليه ولاته

ويحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بعصر فى سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبى فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلم يزل * فى عصبة من صالحى الانصار

البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفى وبالقنا الخطار

الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على له ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون ألفا وستون من الابل وعن على كرم الله وجهه أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس

(ومما جاء فى المكافأة) ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به قال فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع ابى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت

عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما زال بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بباب امير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الاول ثم استقبلني حاجب ابي خالد فقال لي أين تكون قد امرني أبو خالد بالجلوس الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال عليّ بفلان وفلان الحناطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا من غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه واخبرته فدعا بهما وقال لهما اهل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنيّ فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير اني اعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك رضي الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكي) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به اليّ في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما

شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها
ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة
ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني
رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل
الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى
فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره
ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه
الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى
فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم
أراهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف
اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى
بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على
هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا
غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن انه يريد
أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم
خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد
عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو
وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف
ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى
نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه
وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته
يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره
لأفى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من
يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من
الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى
ثم لم يزل يذكرلى تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم
قلت له فما الذى اصارك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك
فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت
على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم
وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى
أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى

حتى

حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرد وأقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فأكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال

دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ماأورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعنى فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا باعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابى فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الىّ فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ماأحدث أمير المؤمنين بشئ أظرف من هذا فاتيته فاستأذنت عليه فاذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فاعجبه ذلك وأمر لى بالفى دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فاخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ماحكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا

البيت

البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قصة هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها باآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلنا ذلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادى
الا تخبرنى بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بأنكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حيدار عالك الخالق الهادى
فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات
فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع
* والله سبحانه وتعالى أعلم
بالصواب واليه المرجع
والمآب

*(تم الجزء الاول ويليه الثانى اوله الباب الثالث والاربعون)*

هذه فهرسة ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب
والفصول المعترف بجمعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف
اثنان واربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على اى باب من الابواب
أو فصل من الفصول فى اى صحيفة من صحائف هذا النصف

# (فهرسة الجزء الثاني من المستطرف)

صحيفة


٢ الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته
٨ الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان
٨ الفصل الاول في الصدق
٩ الفصل الثاني في الكذب وما جاء فيه
١١ الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
١٢ الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق
١٥ الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم الخ
١٥ الفصل الثالث في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
١٥ الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
١٥ الفصل الاول في الحسن ومحاسن الاخلاق
٣٥ الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب الخ
٣٧ الباب الثامن والاربعون في الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
٣٧ الفصل الاول في الشباب وفضله
٣٨ الفصل الثاني في الشيب وفضله
٤١ الفصل الثالث في العافية والصحة
٤٢ الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب الخ
٤٧ الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع الخ
٥٣ الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٥٩ الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه
٦١ الباب الثالث والخمسون في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد
٦٦ الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٦٩ الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٧٣ الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
٧٣ الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٧٦ الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت الخ
٨٤ الفصل الثالث في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر
٨٦ الباب السابع والخمسون فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ
٩٣ الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
٩٣ الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا
٩٤ الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم
٩٥ الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من

صحيفة


عوائدهم الخ

٩٩ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ

١٠٩ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ

١١٧ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ

١٥٥ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم

١٥٩ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم

١٦٢ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب الخ وفيه فصول

١٦٢ الفصل الاول فى ذكر البحار

١٦٦ الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون

١٦٧ الفصل الثالث فى ذكر الآبار

١٦٨ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال الخ وفيه فصول

١٦٨ الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب

١٦٨ الفصل الثانى فى ذكر الجبال

١٦٩ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها

١٧٣ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها

١٧٦ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ

١٨١ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ

١٨٦ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى

١٩٢ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول

١٩٢ الفصل الاول فى وصف العشق

١٩٤ الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف

١٩٩ الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق

٢٠٦ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ

٢٧٧ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول

٢٧٧ الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه

٢٨٥ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة

٢٨٦ الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء

٢٨٧ الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن

٢٨٩ الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه

٢٩١ الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها

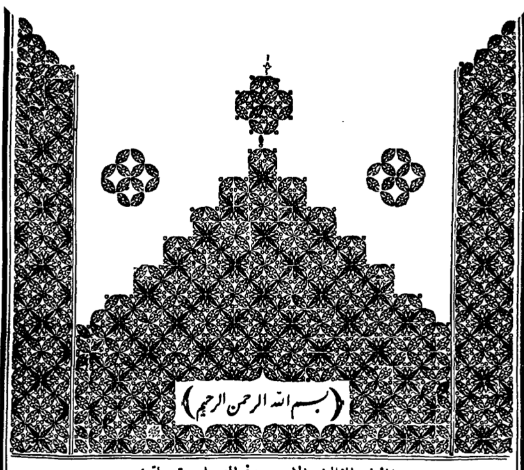
٢٩٢ الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول

٢٩٣ الفصل الاول فى النهى عن المزاح

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢٩٣ | الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم |
| ٢٩٦ | الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة |
| ٢٩٦ | الفصل الاول فى نوادر العرب |
| ٢٩٩ | الفصل الثانى فى نوادر القرّاء والفقهاء |
| ٢٩٩ | الفصل الثالث فى نوادر القضاة |
| ٣٠١ | الفصل الرابع فى نوادر النحاة |
| ٣٠٢ | الفصل الخامس فى نوادر المعلمين |
| ٣٠٣ | الفصل السادس فى نوادر المتنبئين |
| ٣٠٤ | الفصل السابع فى نوادر السؤال |
| ٣٠٥ | الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين |
| ٣٠٥ | الفصل التاسع فى نوادر النوائبة |
| ٣٠٦ | الفصل العاشر فى نوادر جامعة |
| ٣٠٧ | الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان |
| ٣٠٧ | الفصل الاول فى الدعاء وآدابه |
| ٣٠٩ | الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها |
| ٣١٨ | الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عز وجل |
| ٣٢٢ | الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار |
| ٣٢٥ | الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول |
| ٣٢٥ | الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب |
| ٣٢٦ | الفصل الثانى فى ذكر العلل كالبخر والعرج الخ |
| ٣٢٨ | الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب |
| ٣٣١ | الفصل الرابع فى العيادة وفضلها |
| ٣٣٢ | الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله |
| ٣٣٦ | الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول |
| ٣٣٦ | الفصل الاول فى الصبر |
| ٣٣٨ | الفصل الثانى فى التعازى والتأسى |
| ٣٤٢ | الفصل الثالث فى المراثى |
| ٣٤٧ | الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها |
| ٣٥٥ | الباب الرابع والثمانون فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم |


*(تمت)*

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد
العالم العلامة اللوذعى الفهامة
الشيخ شهاب الدين احمد
الابشيهى تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين




## *(الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته)*

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا واره بابا قال المتوكل لابي العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضي الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل في المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين هم هم * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعري متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة ربيت وبدرها اغذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت تهجوه فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

واست وان أطنبت في وصف جعفر * بأول انسان خرى في ثيابه

فكتب بدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى أن الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاي اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

أرى لي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال

تنحي فاجلسي عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالي أهجيت أومدحت فقال له الاحنف ارحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتني أتوت ابنتي قال لا قال افتخرب ضيعتي قال لا قال فرجلي مع ساقي الى حلقي في حرأمك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع وانا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش انت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء في خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

وقال المبرد في حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد للتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم

بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال اقول

بني امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم امر به فضرب بسبعين سوطا حتى اتلفه بها والقى في سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس اعمى في سفينة

فلما مات القيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض اهله فحملوه الى البصرة واخرجت جنازته فما تبعه واحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم ابو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه ابو دلامة انشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لي حجة * ولاخيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست اخافك ياعافيه

فقال عافية لاشكونك الى امير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له ابو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وامر له بجائزة * ودخل ابو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في امره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال ابو دلامة فازددت حيرة فما رأيت اسلم لي من ان اهجو نفسي فقلت

الا ابلغ لديك ابا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم احد الا اجازه * وقال ابن الاعرابي ان اهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تندكفاك من بذل النوال كما * لم يندسيفك مذقلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طلب المصري وقد

قوله قال اقول الخ هكذا بالاصل وتامله فان ما بعده ليس ملتئما بما قبله ولعل هنا سقطا وهما حكايتان اه

احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد احسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربى سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد فى حملاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت * فى ارضها وعلت على جنباتها
لو شم اهل الحرب منتن فسوها * اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
ابدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ماراعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود تبحث فى ثرى عرصاتها
والجن تاتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها

والنار جزء من تلهب جرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على ارجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
ابدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا الفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
اسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بين اهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

اشكوالى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمى فالبسه نجيعا * على حال الستور السابلات
ورام يلين أعضائى برفق * فايبسها وكسر فو قحاتى
ولم أنظر له ابدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
واعمى مقلتى بصنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فمصطرخوا بقولوا أخرجونا * فان عدنا فاناظالمونا

وللشريف ابى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يا نظام الملك أنى * اعاود من ذرالك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وماوردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى
فان انت أنجزت لى ماوعدت * والاهجيت وأدخلت فى

وقد علم الناس ما بعد في * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرّض له بالهجاء ويهدده يقول

اعد مدحي على وخذ سواه * فقد أتعبتني يا مستريح
ولا تغضب اذا انشدت يوما * سواه وقيل لي هذا صحيح

وله أيضا يقول

اعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا للحج والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا في فلان تصدني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسي ويصبح

ولبعضهم في عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه بنعله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا انصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا للزكي جدار أنف * يضاهي في تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكي يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم في أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكري في مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالأير يدفع ما فيه الى فيه

وله في الدين الحلي

رأى فرسي اصطبل عيسى فقال لي * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأنني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعي * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله أيضا

ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سبق * وهذا عاقل من غير لام

وله فى طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة ان لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى احمق طويل اللسان

لو ان قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
او كان طول لسانه بيمينه * افنى الكنوز وانفد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلاء فيوضع

*وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما *وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا الى الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال احدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته وقال ابو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى احد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

## *(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)*

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا الصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم * وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما احسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من اسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت ابى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم القرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الابه * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن ابى صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الامن الساعي * و يقال لو صدق عبد فيما بينه و بين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن ابي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها الله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

* (الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وماجاء فيه) * قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * و يقال راوي الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار * وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي اكل

واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا القلت لك لا فتعجب

وقال محمود بن أبى الجنود

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

* ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لاجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة ما لا أجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البليـ * ـة بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى انينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له امه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

* ولما نصب معاوية رضى الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا امور المسلمين لأضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين واصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معديكرب

مشهورا

مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ اسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

## الباب الخامس والاربعون في برّ الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول في برّ الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من اف لحرّمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن ابي صالح عن ابي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال ياموسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من برّه له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بات أخي عمر يصلي وبت أغمز رجل أمي وما أحب أن ليلتي بليلته * وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما انك من أبرّ الناس ولا تأكل مع امك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عينها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قالت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي يشتهي اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الي وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلاك حكمك فلما ولدت قالت حكمي ان تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية علي به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فامر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما عن شيء الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمري أفق وفرعي بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيدهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل

الشرك ذلا وقعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنس خل أخرج الله منه رزق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقي عليك * قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله

احب بنيتي ووددت اني * دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون على لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذلك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

وقال ابو النصر مولى بني سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من عاقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما الذ ريقي

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

* وكان لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه

ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها الا ضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

*(ومما جاء فى الاولاد البلداء القليلي التوفيق)* قيل نظر اعرابي الى ولد له قبيح المنظر فقال له يابني انك است من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد و والدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد *وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر وله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال ياأبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتي فيك يابني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذ برجل يصيح بشاب ياعبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادى شابا ياحمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حاميز الله فأى حمزة تعني فقال له أبوه ايس يعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله فى حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو فى خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك ياأبي * ليس لى عنك منتقل

* ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر
سأشرب فاغضب لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

*(ومما جاء فى صلة الرحم)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن ابي مروان عن ابيه عن كعب الاحبار أنه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك و برّ والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسرك وأصرف عنك عسرك * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

*(الفصل

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة)* قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان ابو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق ابى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده * قال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

## الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان والشياب وما أشبه ذلك وفيه فصول

*(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق)* والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى * وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن ابى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

*(ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)*

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال مقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وبابله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذوائبه * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا الشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وما ضره نار بخديه الهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وامواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

ومما قيل فى مدح العذار) قال ابو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد احمر

وقال محمد بن وهب

صدود لك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

اصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصرية دمها اللواء الاخضر

وقال آخر

يا ذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى أن لحظك صارم * حتى حات بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام الخال فى فمه
فلينظر النمل اضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدماميني

بحدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهم ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمى

وقال ابن نباتة

وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

اصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شأنه

وقال آخر

يا صاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه قاله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى لبلابيا * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

آخر فى ذمه

قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الصبا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سيناء فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لى بكل الية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده * فتحجبوا السواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الظلماء سواد الذوائب

وقال آخر

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

وقال آخر

ايا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف احد العيون بمثل ماوصف احمد بن الرقاع فى قوله

وكأنها دون النساء أعارها * عينيه احور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلم بدار بني كليب * ولا تقرب لهم أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس وأحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هفان

أخو دنف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورارى * بهن ولا سوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به اعين الانس

عز الدين الموصلي

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطي

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فاق السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذا التشاكي وكلا

وله أيضا

بابي اهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * واتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وان وداده تتكلف
لكنني لم أنا أعنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال

وقال الشيخ عز الدين الموصلي

يا مقلة الحب مهلا * فقد اخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدي

يا عاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم اجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما اقوى جفونك وهي مرضى * واقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي

بروحي خده المحمر اضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحي افدي خاله فوق خده * ومن انا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من اخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن في ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدي بأن الخال لا يرث

وقال آخر

يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
احرقت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

للشيخ تقي الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * في محيا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهي شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

يا صائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ امرته وأعلم انه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

انفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغر من اهوى عذولى فقال لى * ولم يدر ان اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى انتظام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال

وقال آخر

ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح ادلتها واضحه
فان قيل ماهي قل لي اقل * هي الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه علي وكاسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فكدت منه لن افيقا
والصهباء اسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(ومما قيل في حسن الحديث) قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا افبتنا عند دام محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي

يمسي ويصبح معرضا فكانه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الي لسانه

وما احسن هذه الابيات وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الاحديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء واعين الـ * ـجاذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال واسوق * خدال واعضاء عليها المطارف

(ومما قيل في رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجري * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطاه مالا

اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخمر سالا

وقال بشار

وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى اطرافها والمحاجر

بحورا من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه اخذ ابو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم ار جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح

وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقال آخر

واهيف قده كسى احرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه

فلو خجلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه

(وما قيل في التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق

وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه

فها كها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته

يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلي .

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد

بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم ادر أيهما أنور

سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر

وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر

ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا اكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسي

وقال آخر

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا
وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوي * حقوقها الان تؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن ابي خبيص

تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله
وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أفي مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن ابي ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

أخذ ابو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو ان اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

وقال آخر

في اربع مني حلت منك اربع * فما أنا ادري أيها هاج لي كربي
او جهك في عيني ام الريق في فمي * ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال

وفى خمسة منى حاث منك خمسة * فريقك منها فى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومى

رايتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى ابهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضى اذا تمسى

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل فى البنان المخضب) قال ابن الرومى

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * اسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت ياغزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضى بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى اهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واذكت فى الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فاحمرت بنانى من دمى

وقال آخر

دنون عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا خسانا * تباهى بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

واللّه لوان القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ما حوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفلك

عمر بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * قد امنت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذى الحقاق
وما ذلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من اسنتها النهود

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومى

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من اردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا المحارى

ردفه زاد في الثقالة حتى * اقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

ياخصره كم جفاء * تبدى وانت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا ثقيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى

فقلت بابدر هذا * حقا خيال الحبيب

وقال آخر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت واومت للسوار تحلته * الى معصمي لما تقلق فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر واسل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الاصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

وشيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن ابى ربيعة

حسروا الوجوه باذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كأنه حضرى من اهل المدن لا من اهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم وملى يا معذبى * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم اعطافه * فى قتل صب ما غوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من الم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم انسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق ابيض املس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فمالأعطافه تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

وقال آخر

يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردت زيارة * يقلعن ارجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال اعطافا علي ملاحا

وقال ابن المعذل

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد ان كنت لي محسنا * فلا تدن من ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصري * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تطلعت * كواكبه من بدره المتألق
لهوت بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعذولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع احيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لانت المنى يا زين كل مليحة * وأنت الهوى ادعى له فأجيب

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لى لا اريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ اركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الألوان والشباب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم ابيض ازهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد اراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف اخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * اوأسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسوّدناها وقال آخر

يكون الخال فى خدّ قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان ابو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية انا حبة كافور وانت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وانت عدل ملح وقد قال الشاعر

احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

اشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا الذى من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة تمش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأننى والد يمشى بمولود
ماطول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تاملت اسواق العراق فلم اجد * ذكاكينهم الا عليها الموالیا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر) قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم اموات

فتصدعت جمجمة فاستترت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها اربعة ارطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها و يتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت اجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

واراد ملك الروم ان يباهي اهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين احدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا الطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثديه فلام واقيسا على نزع السراويل فقال

اردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكي لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير أطلق ابي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس أنني * قصير وقد اعيا اباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا اعظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح والدمامة) اراد رجل ان يكتب كتابا لبعض اصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لافرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر ابو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى اهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما اخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة ارادت ان اعمل لها صورة شيطان فقلت لا ادري كيف اصوره فاتت بك الي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رايت بدوية من احسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه اترضين ان تكوني تحت هذا فقالت يا هذا لعله احسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي افلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فراى رجلا قبيح الوجه يستغفر

فقال يا حبيبي ما اراك تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طالع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها احسن منه وجها فقال

لم ار وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا

فيا شقاء بلدة * احسن ما فيها انا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت انى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف اربعين سنة وقال الشاعر فى رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة انف * كجدار قد أدعموه بنغله

وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف

انت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس اخينا * يا ثقيل الثقلاء

انت فى الصيف سموم * وجليد فى الشتاء

انت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس والوانها والعمائم ونحوها) قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد ارخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بالف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى اجالس ربى وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل (ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا فى ظلمة الليل البهيم

وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وامر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا اسود فلما انفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى

سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جلنارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

فى ثوبها الخمرى قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر

قلت سكرا حين ابصرتها * لاتشكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة اخضر

وجارية اديمها الشطاره * ترى الشمس من حسنها استعاره

بدت فى قميص لها اخضر * كما ستر الورق الجلناره

فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره

شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس مايديم الملأ نظره اليك به واعلم ان الوشى لايلبسه الا الاحمق او ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل على عاقلا فاتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والحديد فى البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت القاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل بجوهر وتكة من انابيب الزمرذ وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر اشكل والحمر اجمل والخضر اقبل والسود اهول والبيض افضل وقال افلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بانواع الربيع ودخل بعض المنذر بين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك وانما يكلمك من فيها

(ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدنى ابياتا وروى اخبارا فتعجبت من جودته وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخى ان الحادثا * ت عركننى عرك الاديم

لاتنكرن ان قد رأيـ * ـت اخاك فى طمرى عديم

ان كان اثوابي رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفي اثوابه اسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان أك في شراركم قليلا * فاني في خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

أن العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما اشبه ذلك)*

(ماجاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان احدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا واوصى عند موته ان يغسل الفص ويجعل في فمه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم اربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز

وقيل للخوف والله أعلم
*(ذكر ما جاء في الحلي)* قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد يعني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسري اشتراها بثلاثة وسبعين الف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقالت يا امير المؤمنين هما اعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة الف دينار فقسمته بين ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك
*(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني انظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمرعى من مسك مثل مراعي دوابكم هذه وعن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتح فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم انفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت اسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل تريد ان تعلمه جواريك هولك مني كلما اردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الامن شعرك حيث تقول

اطيب الطيب عرف ام ابان * فار مسك بعنبر مسحوق

قال ابو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس ام مر المسك وعنه عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الرقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك اسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا الحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب

الطاهر

الطاهر صلى الله عليه وسلم وما احسن ما قيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى احد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت اظفاره فيه والبحار والعطارون ربما وجدوا اظفارا فيه وقال الزمخشرى عفا الله عنه سمعت ناسا من اهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب واجود العنبر الاشهب ثم الازرق وادونه الاسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ ثقره البحر واما العود فأجوده المندلى وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع فى الثوب اسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا اخرج ظاهرا وضرب به الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار واما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر والبان

لو كنت احمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار

لكن اتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تامر برفع الطيب ايام الورد وكان المتوكل يلبس ايام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابى ففرطت من الامير ريح خفيفة فاراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شمت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كف كف أطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية واخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)*

(الفصل الاول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم

وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن اسيد ولاه مكة وبها اكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش اوائله كما ان اطيب الثمار بواكيرها والشباب ابلغ الشفعاء عند النساء واكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان اشبههم بهن خدودا

ومابكت العرب على شئ مابكت على الشباب ولولم يكن هذا الشباب جيدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امردا أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك اشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) اول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا استحى ان احرقه بنارى وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى الى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن اعذبهما ثم بكى فقيل له مايبكيك يارسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لايستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه اسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لايحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان اصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل اربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من اتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام ياأطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع اكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

ياعامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ماعذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لايعاد منها ومصيبة لايعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

وقال ابو دلف في بياض اللحية

تكونني هم لبيضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب اني اذا رمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ احدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يابني انى اعطيتها بغير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وماهو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكنني احببت ان اعلمك انى اكره منك مثل ماتكرهه مني فانشد ويقال انه لابن المعتز

راين الغواني الشيب لاح بمفرقي * فاعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذامال وذا نعم
فاعرضت وتولت وهي قائلة * لا والذي أوجد الاشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من ارب * أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في * معادن الطيب امر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذا الذي * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت ارالك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعي ويابصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم
ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس
اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب
وقال آخر
الا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق
وقال العتبى
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
وقال على بن ربيع
كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنى وزالت عن فراشى العقائد
واصبحت اعشى اخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد
وقال آخر
عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب
وقال ابن النقيب
وكم كان من عين علىّ وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى واكتفوا بمشيبى
وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط قال الشاعر
شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
وقال الجاحظ
اترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب
(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن ابى عامر الانصارى رضى الله عنه رأيت ابابكر الصديق رضى الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يجلى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه (بيت)
تسود اعلاها وتابى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما احسن هذا الودام فقال
ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة اوهرم

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا انضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فأمنك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

*(الفصل الثالث فى العافية والصحة)* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الأمانى ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت ارى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر احب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى ان يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش واتى الى امه واخرج لها اسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال اسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعه فما احسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

*(الفصل الرابع فى اخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام)* قال الحسن رضى

الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى امية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له اخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوما فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش اكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وادرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو احد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معد يكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح ابن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

## *(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)*

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما) الاسماء والكنى ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان
لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان
لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت فصرت فى هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم ابن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدنا عمر رضى الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فاظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضى الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد ابن العاص رضى الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * واح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا واح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع النساء فيتصدق عليهن ولم يكن غزالا * سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى * اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فتقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يحجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه أبو تراب وذلك انه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس

وأبى

وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية ياأبا الطويلة وسمعت عرب الحيرة يكنون باسماء بناتهم كأبى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال ياأبا عمير مافعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لاأدرى فقال

تسميت لاأدرى فانك لاتدرى * بمافعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه مامن قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم ومامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما) جاء فى مدح الاسماء منظوما قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وماضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

ياسمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب ياقاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم فى مليح اسمه عمر

ياأعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوا القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ماعليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ماأنت الا قمر

ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ماالاسم ياكل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف

يامن سبى الشعراء نمل عذاره * النجم يشهد لى بأنى مدنف

صيرت قلبي من صدود لك فاطرا * فامنن علي بزورة يا يوسف

للصفي الحلي فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

وللقيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منه ورفى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * و يقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسين

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشة

يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل انى في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديري في اسم حليمة

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام اليمه
لجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه

ولبعضهم في اسم بركة دوبيت

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان) فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافروا وتغنموا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن * لأهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس ابن الخطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله عنهما من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في

ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحوّل * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي الابلاد مثل بلاد * خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفي الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله الجعدي

فان تجف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون اليل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * بلعقة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدري الى أين تبتغي * موالهة حزنا تجوز الفيافيا

أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لا عينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أنى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر ير مينا به وقال أمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا احسنت وان أنا اسأت فقولوا اسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس فقد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

أشارت بأطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدري ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال البغدادي

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال ابن البديري

قفا حاديا ليلى قليلا وامهلا * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قليلا مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خاليات بلاقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي * وحالفت سهدي والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

ياسادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى اعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكم * يامن يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردى

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
ياليالى الوصل عودى * اجمعينا أجمعينا

وقال الشريف الرضى

علانى بذكرهم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياما جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

وقال آخر

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال الموصلى

عين أفاضت دموعى * لطول صدّ وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

وقال آخر

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة (ومما جاء فى الحنين الى الوطن) انما محبة الوطن مستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق الهاروى ان أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكى) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابورذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
ونستعذب الارض التى لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد

وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الإسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام (ومما جاء في ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتي وتصبري * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الحادى والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)*

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لاله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لاخير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال علي كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمني اذا وقيت الاواقي * بالاواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يابني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله عنه يقول الناس صاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجالسه * ولا يمل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من

الرصاص لايـلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه * مصالحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجدها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوي ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل مايلق من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالي مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وماضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يمشي الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا بلي بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب

وقال الكاتب

أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذالكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشرى

واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثورى رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من أن احتاج الى لئيم وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء فى الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغى لصاحب المال ان يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطعين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فاما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال فايحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رأبانى فان روعى صاحب المال ووفق بينهما على أن يكتب عليه بقية المال وثيقة فلا يستوفى ما فيها الا فى الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم

ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن
ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان
ويترك عنده مدة لها قيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهى الى مدة فيقنع فى
تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة
كيت وكيت ويقول للذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم
غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأى سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان
وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى اصحاب
الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة
متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك
فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم
أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى
ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة فى قماشه أو فى العدة
التى معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطعون) فهم من
المعونة والناس بهم أكثر غررا وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع
فيها واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا
حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ
يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه
ويفوز به ثم يغير الحال الاول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون
الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم
مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر
أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى
ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق
أو اكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا
كلها لنفسك لم لا تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج
الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى انه مثل البازى ان أرسلته أكل وأطعمك
وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندى علم أنك
تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه
والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه
رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنمسون)
فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام
لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الاموال بالبشر والاكرام والتلطف
فى المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه بأحد من الاولاد
ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع

عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجالهم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان امله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير افقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر

الم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا انه صنم

لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستترعني ومحتشم

أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان في الدرج فلما قرا الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا

عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا

يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعاونون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا راى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيئا آن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينارك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين قال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعد له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك

هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشي وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته الماج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بني العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت باثني ألف دينار وعشرة بيوت في كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذي لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادي الصيني والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الارادب في كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلي النساء ما لا يحصي عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفي حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه في كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه)*

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله

عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا في المال وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا لا يبالي ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال جابر رضي الله تعالى عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفي الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائي فيدنونهم منه فيقول يا عبادي الصالحين اني مازويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الي وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذي نفسي بيده ليدخلن فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله تعالى لأبره أي لو قال اللهم اني أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك في معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هي تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الي وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر مني هما لاني كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضي الله عنهم اللهم اني أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ في زمن عمر رضي الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبي

بوعدت همتي وقورب مالي * ففعالي مقصر عن مقالي
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالي
واقد تعلم الحوادث أني * ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## *( الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد )*

روى الامام مالك في الموطا عن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابي على علي رضي الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شئ فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضي الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي اني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتيناكم نمد أكفا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا مادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلاد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصري

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضي الله عنه قال يا كميل مر اهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بني عقيل
طويل الباع أبلج جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعبري بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية اني تركت قول الشعر فاجيبي الامير عني فقالت

اذا هبت رياح بني عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمي * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني في ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا ابت ان الملوك لا يستحيا منهم

فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ماندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور اليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعزمن بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب و يصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال مالانبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فاعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المامون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولاعفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العدم لايكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل اقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانعم فثمرة وأمالا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له

في كل سطر ألف دينار (وحكي) ان رجلا كان جاراً لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لاتقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينارا ومعي به اشهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكي) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال مامثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لاأني جعلتك ناسيا * لامري ولا أني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطاني كذبت وان اقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لابد اخبرهم وان لم أسئل

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * ياناعما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي * أم في المعاد تجود بالانعام

ومما يحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية او سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا ايدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله واسر كلمة خفية وهي ولاتسألوا الناس شيا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فمايسأل احدا يناوله اياه رواه

مسلم

مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تمدها الى غني قد نشأ في الفقر وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدي

اذا ما رماك الدهر في الضيق فاتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانباري

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

وقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي ابوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذي * ترجينه باق فلوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهم * جاءت قد لباني واغناني
واهاعلي بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فرد فيرد أقبح من

خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل مل اهابه
تجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه * ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته * أناخت صروف الحادثات ببابه
فاصبح لامال ولاجاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لايقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما فى كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لاتحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعى رضى الله عنه

قنعت بالقوت من زمانى * وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى اذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## (الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال

صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتي فقال رضي الله عنه اني سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة

## (ذكر انواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها امشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها أمشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشيء قيمتها خمسة آلاف دينار وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشر بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم وأهدت برتا بنت الاوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبارا لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت

صباحا منسكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها أشبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته لمع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم التى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه اعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيأ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك و بين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد جحموا اليها فقال

جهولموا اليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفيني بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى مما تساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى وروده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل العبد ما قل فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى الكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

و بلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه و يقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)*

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مداوم عليه خير من كثير مملول * وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد يقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لابنه أحسن من عقل زانه حلم ومن علم زانه عمل ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الناس على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان اعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمراً أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل

الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل * وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور في الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد في داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمق ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس اتمايزنون بالشاهين وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو ان ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال * وأما ما جاء في العجز والتوانى فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * ويقضى الاله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز اعدامه من عجزه وامده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان

مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة وتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة * والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاهذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولوشاء ان تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم ان تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى انشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالا بد منه ومر رحمه الله باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال ابو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض

العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور وما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فماذا الذى يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وان تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

*(وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها)* فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى

سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول

*(الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله)* روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

ومثله

وما من يوم ارتجى فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسى

ومن كلام ابن الاعرابى

عن الايام عذ فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم

صار أمري الى ان بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما ماتنى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه فروى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور و بين يديه كانون فضة يحترفيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

الا يادار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب باهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها فقال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث الا أنه

من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

الا قل للوزير فدته نفسي * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه * ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب ابن أوس

لم أبك من زمن لم ارض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا اطمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر اخيه فيقول ياليتنى مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

مامن مسئ وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر

كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر

من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة مابال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه

فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبى على بن منقذ

أما والذى لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم

لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشد وأعظم

وبى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه [illegible] أتبسم

وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله أعلم

*(الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع)* قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر واثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل

ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الأشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين كم الى تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظته منه والزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال احفظوا عني خمسا اثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحد منكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأعاجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى

القوم فأخذه وأتى به فالسجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت امرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت اعقبها الفرج والفرح عاجلا ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

وإذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
واتت بعده نوائب اخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجى

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبى سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها اعقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا

أماتنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ماتغير

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح

فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

وقال ابو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب

وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ماجوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر

صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر

ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر

انما يعرف الهوى * من على حره صبر

نفس يانفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت أقنعنى واليأس أغنانى

وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وما احسن ما قال محمود الوراق

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا

ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى فجعلتها لى معقلا

فاذا نبابى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا

واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وماسبق عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما احسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضى الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما احسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني اقول

اما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت احدا يعرفه ولا رآه احد قبل ذلك في الكوفة ثم اخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له اما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلي قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان ضجت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا اصبر على شدة الضرب واحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضى الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذى صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه

قدمات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه * وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها ليروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه في بيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ست وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به * ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره

على ما قدره وقضاه عوّضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه * وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت علىّ واذا لقيت أمى فاقرأ السلام عليها فأقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنىّ على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمرّ السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى ان يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره * وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدر وتملك الملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة * وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على اولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ

ومعه سخلة وقال لها اذبح يا أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ جانه فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لاطعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وانت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وافاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه بحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب واسنى المواهب لما امر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما اسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوإ عيش واقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض اعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكا مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أمرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم يختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى ابواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من ألحت عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر

ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى ووعظتنى وأنالها * وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر)*

قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته *وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء* وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن ابتليه لابلغه تلك الدرجة* وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى (حكى) انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم

يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك

وقد هذبتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

أما في نبي الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد

والشمس لو لا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والنار في أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد

بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد

لو لم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الأعبد

غر الليالي باديات عوّد * والمال عارية يعار وينقد

ولكل حي معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد

لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد

كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد

صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون رضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن ابا اسحق أسباب نعمة * تجدد منا العزل والعزل نائل

شهدت لقد منوا عليك واحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زاد ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب السابع والخمسون ماجاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في مكامنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتي أهله النائي الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ماتخيب

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنته مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضى الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى الى ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدني أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بهما ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد فقلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى دارى وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشترى به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي

عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد
وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم
أحضرتك قلت لا ادري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل
فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر • يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به • قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله
فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه
واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته ما لي فيه
من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن
أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن
ما قيل

الأمن والخوف أيام مداولة • بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال
ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان
محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه
في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين
رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت
الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك
سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام
السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل افريقية قد أجمعوا
على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث
شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع
ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل واقر به فأمرت باحضاره فلما
رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه
يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت اليهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي
عليها فلما افاقت قالت انشدك الله في امري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار
نساء صالحات وانا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وامي فاطمة وابي الحسين بن
علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد
منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران
الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني وها أنا بين يديك
وهذا امري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا اعود

الى

الى معصية ابدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير اخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الامن كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتضد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لاتبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن واتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلادى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتضد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ماسبب فعلى هذا قالوا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسدبابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر ادناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان اظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعاطل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ماترى * الارب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى مااعترانى هم فانشدت قول ابى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وامر الله ينتظر
أتيأس ان ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسمرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وارسله فلما اصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كانه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وانفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيصدتك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك مامنعك ان تذهب حيث امرت

قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكرر ذلك مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسمعه ساطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت اقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت اذ جاء رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطني بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدلي ولد في هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي اشتري بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيأ اسد به رمق اهلي ويبقى راس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي اوجب جزعي قال ابو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص ياسيدي اريد ان تاتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا انه يريد ان يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رايته تعرفه قال نعم فاخرج الجندي له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذها وانت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على امانتي مالا وأبى ان ياخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا ارحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى اعيا الاطباء دواؤه ولم

يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى دار هنالك قصة عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق انه جعل جميع ما معه من الخز في خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هنالك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك علي فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى ان ادرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على اثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البائع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج

اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ماطلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدوّ الله اتقى بمالى فقال له البياع ماهذا يافلان والله ماعلمتك متعديا وأنا أبدا ماجنيت عليك ولا على غيرك فماهذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا وردعلىّ بعد العشاء واشترى منى عشاءه واعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى ياخائن قال هاهو فى خرجك فوالله ماأخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لايخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وعشى فى العظام وكان خالد ابن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لاورى فيك آثار الخلافة ولاتموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك ومامثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له ماجئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكمو أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس ومالها ان لاتميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أوّل من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة

الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها بالبلاوهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)*

*(الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا)* عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه ام أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه لا يقولن أحدكم عبدى وامتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم ابامسعود ان الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال حدثنى ابو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلده يوم القيامة حدا وقيل اراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما اخرجتك من يدى فاعتقها وتزوجها وقال ابو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى امهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خيرا اهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضى الله عنه اتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر واراد ان يضربهن بالدرة فقال على رضى الله عنه ياامير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن وأعطاه اثمانهن وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن

أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتفتر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذا الله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتي

وقال الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام ان يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال اما ضربتني وامرتني ان أقضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمي يلي حكم السند فكتب الى موسى الهادي ان رجلا من اشراف اهل الهند من آل المهلب بن ابي صفرة اشترى غلاما اسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم ادركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب ان يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه امرا يكون فيه شفاء

غلبه وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والاخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هنالك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب اخرى الى ان دخل مولاه فرفع رأسه فراى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه انك لم تجب ذكرك مثل ماجبيتنى لا رمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الا نفسى وانى لاسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال ابوهما ويلك فاصبر حتى اخرج مدية وأفعل ما اردت ثم اسرع واخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما راى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثارى وقتل اولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والاعجمى بقتل الغلام وقال ماسمعت بمثل هذا قط وامر ان يخرج من مملكته كل اسود فما ترى اردأ من العبيد ولا اقل خيرا منهم واكثرهم رداءة المولدون لو احسنت الى احدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه انكره كان لم ير منك شيأ وكلما احسنت اليه تمرد وان اسأت اليه خضع وذل وقد جربت انا ذلك كثيرا وما احسن ماقيل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الاثم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له اباً وربما يعرف الزنجى ابويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون امه فرسا وابوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل ان يكون فيه خير وان كان فذلك نادر والنادر لا حكم له وانا استغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب التاسع والثمانون فى اخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من اكاذيبهم

للعرب اوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم واكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون * قال اهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها اى شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا اعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * واما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * واما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا احمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ماخامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب

على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو امرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أي دفنهن احياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا * واما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من اموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يامعشر قريش انكم جيران الله واهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من اموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من اقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة اسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها ياهنتاه مثلي يكون من عبد الله واما عبد الله بن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن واوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا واما ابن سماك فانه اضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي على لاصليت له ابدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض اغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى افضى بهم الى الكفر وصار واحد بنا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله اظفرني بأناس بلغني الامل فيهم واعانني على الانتقام منهم فكنت اتقرب اليه بدما ئهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله اعلم

(ذكر اديان العرب في الجاهلية) كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم

منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا
وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما
من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية
عمرو بن لحى ابو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك
فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها
فتنصرنا فقال اعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له
هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار
فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى
البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه
وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت
الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه
الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل
وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة
رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار
فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع
اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام
وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات
لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان
بدينهم وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا اسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء
عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته
فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا
وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى ان ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام
من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له
من نعبد فقال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم
عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما
عم الطوفان الارض طمها وعلاها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب
فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما
السلام فقال الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون انشط لهم وأشوق
للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن [illegible] ان من سبقهم
من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على
صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى
أعلم أى ذلك كان

(ذكر اوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة

منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره وجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى ◆ الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحدهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها ◆ التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا اقام عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى ◆ العر داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر ◆ ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب ◆ الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هى الدم وان الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينبسط من جسم الانسان اذا مات او قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم ◆ فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ◆ الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن ◆ تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت ◆ الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول اخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشوم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رآه فى سفره الى الشأم فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكروأنثى الا ان أكثر كلامهم انه أنثى وأما القطرب فى قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما تراءى للانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو ام مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهره فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولادة سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهوائف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (ومن عجيب) ما حكى من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه ليت شعرى هل بقيت على فلما انصرفنا من مكة قال لها في بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام فهم ونا كما جئت وهو رجل أسمر ضخم فى قفاه كية فنكث الرجل قال فلما سرنا الى البصرة اشتبرنا فقد الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أسمر ضخم فى قفاه كية فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان الطف جيرانه بنا بخراء الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت بهية فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه * وأما رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا اثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى باحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة واما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها * وأما جز النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته * وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ماءها يخرج منها صبره وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك

أما الكهانة فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها ولكهنة اخبار فمنهم سطيح وورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء له وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤسائه فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس

الإيوان فازدادوا غماً على غمهم فكتب كسرى كتاباً الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالماً بما اريد أن اسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح * فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات * بعدد الشرافات * وكل ما هو آت آت * ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ايهبطن بارضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أرام ذا يزن * يخرج عليهم من عدن * فما يترك منهم أحدا باليمن * قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي * يأتيه الوحي من العلي * قال وممن يكون هذا النبي * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون في قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون * قال أحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكي ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبآ له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا اصدقت احكم بين هاشم ابن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولأمية أواخر * فأخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية

(وحكى)

(وحكي) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فادسست عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا كنته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم ادخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

وأما القيافة فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على احدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه باحدهم (وحكي) عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام اسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شئ فلما رجعت الى امي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية وثغر البرلس اقواما بهذه الصفة وقد وقع من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم

بما كان من نسج العنكبوت وما الحق القائف من الخبر وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك الطبيعة لا يتساوى الناس فيما يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبنى مدلج فى احياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا

ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قولهما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنتة ان تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فمرا بامرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت اما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

وأما الزجر والعرافة فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلوا أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه وصل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدائنى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظننى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمارة الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينا مروان ابن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان عنده منصرف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى)

المدايني ان عليا رضي الله عنه بعث معقل في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديثة فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من وجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي ادير طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق ابن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال للامير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه انف من مقاتلتهم على شيء من ذلك الاعلى حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى ادنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شيء عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء فافرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

وأما الفال فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا يسار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك. وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطير شيء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لايعلم المرء ليلا مايصبحه * الا كواذب مايجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمرى ماتدرى الطوارق بالحصى * ولازاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لاطير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ماتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطاب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ماغراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله ياطير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تغفو ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بان مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هموقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ماقصتك ويحك انتبهى وغنى مايسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ماهذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للعشاق بكاه

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد عاد فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا امر يكون مبذلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وامر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على اعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وامرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه امره ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد امرته ان يسيء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وانا اعلم انكم تقولون بعدي لا احسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة اقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله اعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكي) أيضا ان صاحب قرطبة اصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فغنت مفردا

هذي الليالي علمنا ان ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وامرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكي) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الازل فمات أحدهما

قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام
وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الاظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك ايضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال احدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى اشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يافلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا اذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة ووزنها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا اقبل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رايت انسانا يمشى و يلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين

وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان ام سليمان بن داود عليهما السلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا اسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيثوا ثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى وانشدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر بولد ابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها امته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شيء اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن راسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لأن تختلف السياط على ظهري أحب الي من أن انام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن اوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون

قل لي فاول ليلتي * في حفرتي أني أكون

وأنشد أبو دلف

اما لكتي ردي علي رقاديا * ونومي فقد شردته عن وساديا

اما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا اللياليا

وأنشد أبو غانم الثقفي مفردا

رقدت رقاد الهيم حتى لو أنني * يكون رقادي مغنما الغنيت

فقيل ان هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني اذا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات

وأما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى ان الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا وادواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشباهه مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضروب فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة عرقا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال ما لابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا ابقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله عنه انى رأيت كأنى رقيت انا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان ام الشافعى رضى الله عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا ان عاملا اتى عمر رضى الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية * واما من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رايت كأنى اسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا اطؤها فقال اخاف ان تكون امك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رايت كان فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له انت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رايت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رايت فى النوم كأنى أشد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان

وجاءتها امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى مناد من
خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه
فقال لأخته هذه تزعم اني أموت لسبعة أيام وامسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة
أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض واقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان
صدقت منامك فانك نباش الموتى فكان كذلك (وحكي) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد
تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن واموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن
ومات بعده بمائة يوم (وحكي) ان رجلا راى عيسى عليه السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق
قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك وأتى ابنه مغيث آت في المنام فقال لها لك البشرى بولد *
* أشبه شيء بالاسد * اذا الرجال في كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت
المختار بن ابي عبيد وذلك في عام الهجرة وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بلت خلف
المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة
من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي
ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال
سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال بأي عين كنت تنظر الى راسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي وأولوا
رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال
تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال ابو حنيفة رضي الله عنه رأيت كأني
نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن
سيرين فقال ما ينبغي لأحد من اهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان
صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله
عنهما قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني ابي في النوم حتى رايته وهو يمسح العرق عن جبينه
فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن
عبد العزيز فصاح وضرب بيده على راسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الآراء الحكيمة وهي حسنة ما لم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء
عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف امنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم اشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت مني امانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب اربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح ابواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور ان لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم انصراني لو اسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا انه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما اسلم قال له قد اسلمت فان شربتها احددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة في ايام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا اودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي اودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على اصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي احداهما فأكله فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقال كيف امركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام فقال ائتوني بسكين اشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى اتشقه يا نبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون اوزي فلا اعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان احدكم ليسرق اوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على راسه فمسح الرجل راسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا

فارسلت

فأرسلت اليهما ان يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد اوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة و بلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق و يقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوا مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره ان يسير مع القافلة و يظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد احدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه ان ينفرد بها دون اصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ ارباب الاموال اموالهم واتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجئ له بكوز فرماه بين يديه فارتاع احدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر انت اخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرئ يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياس فقال اعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى اموال كثيرة للايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا واريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضى اياس فاخبره ثم بعد ذلك اتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد ان اخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة ابكار وكان شيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل منكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا امير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما اراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما اراد الرجل الا قيامه من المجلس

وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرضت عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن اقتلك فقلت انما كبرت عنده يا امير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وانا اجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ماعدا ما في نفسي ولما ولي عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر واعرس بصفية وفرح المسلمون جاء الحجاج بن علاط السلمي وكان أول ما اسلم في تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى اسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي ان يذهب جميع مالي بمكة فأذن لي لعلي اخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احتاج ان اقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال قلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى هنالك فقاموا معي فجمعوا الي مالي كأحسن ما احب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على

حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به
قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عني
حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ
كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ علي حديثي يا أبا الفضل
فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم علي ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك علي ذلك قال قلت
والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها
وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما جئت الا
مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله على ما
تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج
حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال
كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز اموالهم وما
فيها فاصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل
عليكم مسلما واخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا واصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله اما
والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته
واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش
وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على
ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى
بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان
ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على
ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم
عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا امثالكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا
بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على
ان تقاتلوا معهم محمدا فقالوا أشرت بالرأي ثم اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ
ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه
قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نفعل قال اعلموا ان معشر

يهود بنى قريظة قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم و بين محمد وقد ارسلوا اليه يقولون انا قد
ندمنا على نقض العهد الذى بيننا و بينك فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين من قريش
وغطفان رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم
فتستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم
فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش
وحذرهم فلما كانت ليلة السبت ارسل ابو سفيان و رؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون
لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما
بيننا و بينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك
بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهائن من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا
نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله
ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لاندفع اليكم رجلا
واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت
اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان رأوا
فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا
الى قريش وغطفان انا لانقاتل معكم حتى تعطونا رهائن فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وارسل
عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان الهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة
وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من ايقظ نفسه وألبسها لباس
التحفظ أيس عدوه من كيده وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لاينام
وحافظ لاينام وحاكم لايرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد
والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله
تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس
فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال و يطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله
بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان و يقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من
الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال
خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد احوال
المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة
ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى امير
المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل
عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لايعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت على
بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت

وما

وماهو قال امرأة تمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال فخذى معك مايصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المراة ثم قال للرجل اوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار و يضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المراة فقالت ام كلثوم رضى الله عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا امير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا امير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا اخا العرب من ولى شيأ من امور المسلمين ينبغى له أن يطلع على صغير امورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم واطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل مابقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما اصبح جاء فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه و يباشر أمور الرعية مرارا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسوّر على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا امير المؤمنين قد اخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال اريد ان أضربك على خطيئتك فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد اخطأت فى واحدة فانت قد اخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما استأذنت فهب هذه بهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه قد سلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد بن ابيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرّف اليه ويظن ان زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له اتتعرف الى وانا اعرف بك منك بنفسك والله انى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك واعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد اخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون واقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته باقوام نازعوه وارادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا ان الله تعالى اعانه بتيقظه وتبصره ماثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع لهم قصدا ولتلك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف فص انطوى

على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم باسيافه وكان
اسكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها واحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته
وفطنته مانقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فاراني فلما خرج الجند
أدناني وقال لي من انت فقلت رجل من الازد وانا من جند أمير المؤمنين قدمت الان مع عمر
ابن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني اريدك لأمر وانا به معنى فان كفيتنيه
رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضر في يوم
كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يك عنده أحدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا
هؤلاء قد ابوا الا كيدا لملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا
واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب
على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول
لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكلما
جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده وا كشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف
وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرني
وقال ما اعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء
أولئك القوم وأن معي ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك
اليوم ثم سألته الجواب فقال اما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرأهم
السلام وأخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت
من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لي المنصور اني اريد الحج فاذا صرت
بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني اعظمه واكرمه وارفعه واحضر الطعام
فاذا فرغ من اكله ونظرت اليك فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى
تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك
وهو يا كل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله
الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد
الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتني من العهود والمواثيق أنك لاتريدني بسوء
ولاتكيد لي سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت
حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام
رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال اقلني يا امير
المؤمنين اقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم اقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه
محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدا ثم دعاني المنصور يوما فاذا

بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة وان صدقتيني لاصلن رحمه ولا تابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وان تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما راى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا امير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله امتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف احوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وامرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

### *(حرف الهمزة)*

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله أسماء كثيرة فن أشهرها اسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو احمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه

اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك

والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من اى شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم اقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرئ على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قاص الاشداق عنها خناجر

*(فائدة)* اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الى قلت ارسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفر ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه الفأرة فأمر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فجب الفار

عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به بدنه لم يقرب به سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت اروت وان نحرت أشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان بعض حبله دهن فمرت فارة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لاتسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما وسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لاتعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لاينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لاينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وابو الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وابو حنيفة وأصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى اعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه

تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة تشبيق وربما تسفد وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة فيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ما يتصل شعرها وهى تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك قام ماتجرى به وهورا كب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صيديقال له اصطاد ارنبا وله انثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال انتصر قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله امثالا ومن ذلك ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل اكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب ادخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا امير المؤمنين هى دقاق

الاعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى ان تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد اضلاعها اى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت على حالة أتمنى فيها الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما اصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض منتزهاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتملق مثل الذى يشتكى فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى

الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أنوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن ألطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن أوى الى فراشه فلينفضه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لايؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لاتنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون

يشغلونه بذلك و يأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحدله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(حرف الباء الموحدة)*

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار الملتفة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فاجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه اهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الهديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى اطراف الماء وهو خلقة شهر بقلم ويوجد غالبا الا انثى فقط (براق)

هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطى
تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا او زبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابى

ابل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لابارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

وقال أبو الرماح الازدى

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على يطول
تؤرقنى حدب قصار أذلة * وان الذى يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا يسعى لهن قتيل
الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

وقال ابن ايبك الصفدى

اشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز نشر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت

فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

اقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملله فليس له قرار * وينغضه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناطعر وقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن علىّ بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قموص وابو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شم المزكوم زال زكامه على ما ذكر (بقر) هو حيوان شديد

القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه ارق اصواتا من ذكوره الا البقر وانثاه يضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتدّ شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكي في الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلي به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلي به على الاثر الاسود في البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها ان تدخل على كل طير في وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا اخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان امسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان امسكت ثنتين كان كثير الخصب



قوله كيوثاء كذا بهامش ابن خلدون أوثنا وكذا في الزهر وروح البيان والهيئة اه وليحرر

وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة واهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

*(حرف التاء)*

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى فى ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا افرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد اخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه اضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ماعليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين ابهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا يحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

*(حرف الثاء)*

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق فمن ذلك انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نشر القنفذ شوكه فيسلح هو عليه

فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج وفروه ادفأ الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر في عجائب المخلوقات انه اهدى الى ابى منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى في آخر كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب اعلمه الذئب بذلك وكان قد اخبر بما قاله الذئب فقال الاسد اين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال واى شئ اصبته قال قيل لى خرزة في عرقوب ابى جعدة قال فضرب الاسد يده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبيا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد في رأسه فرضخها فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما اعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) ان الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له اما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى اجدد لى وضوأ وأرجع ومن العجيب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى اتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في انف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه انفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس اقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو انثى وهو عجيب الشأن في هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لا كلت الثعابين اهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان في ابتداء امره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان ابوه يعقل عنه فضجر من ذلك واراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في

صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

*(حرف الجيم)*

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون ها هنا وها هنا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من انعم منك يا يحيى وقد اجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده أن يأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال أين لعبة كانا يلعبان بها قال جرو

كاب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين مقعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به أبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ماتقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى

(جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من اخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الوردمات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لايكادان يريان الااذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

*(حرف الحاء)*

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى أغبر والتهامى أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسبة ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه انه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمى الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فرأيت تاجرا فأخذته فلما أردت قتله تضرع الى فلم أقله فلما علم أنه لابد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره

(حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لاتصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لاتأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها انها لاتخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب

*(عجيبة)* روى الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بأمرى فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى

بجلالك عن سؤالك وأغنني بفضلك عن سوالك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة
بقربي فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة
ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف
في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل بها خالفا لجهة اللسع ثلاثة
أميال ابرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق
النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك
ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة
الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل
ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت
في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تخطف به
مابعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان
ينادونها أم حبين انشري برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا
عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا انشرت اجنحة أحسن من تلك
ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلي) معروف
ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته
أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو
بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق *(لطيفة)* في الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه لما افتتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج
الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت
أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفور وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في
حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت
فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى
فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي
في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه أن
أباصفوان وجد راكبا على حمار فقيل له في ذلك فقال عير هو من نسل الاكراد يحمل الرحل
ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها
معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسار تمثلا في الصحة والقوة وهو حمار
أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى
الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه مانقل عن عبد
الحميد الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك
وقيل ماينبغي لمركب الدجال ان يكون مركبا للرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية أن أوقفته

أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى القرارة بطىء فى الغارة لا ترقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة اشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شىء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شىء أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شىء من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع

من الحصاة

*(حرف الخاء)*

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لاتجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا ترى الا داخلة أو على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لايشارك أهلها فى أقواتهم ولايلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يدالورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * اضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لايفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه *(لطيفة)* قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ماحملك على ماقلت فقال يانبى الله ان العشاق لايؤاخذون باقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لايبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير القرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى فى طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبوجهم وأبو زرعة وابودلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذوناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل

ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لاتحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ماللخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولايؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب امره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولايسلخ جلده الابالقلع مع شئ من لحمه على ماذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولات كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال مايصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى مابه قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فأخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ماخلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ماذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث مامن فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لاتحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولايرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها احصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى اعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت

الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * ونكسبها الاباعر والجلالا

## *(حرف الدال)*

(دابة) اسم لكل مادب على الارض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبا فقيل الأرضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى امر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ماصنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضرب بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك مانقم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء اياما حتى تنفرج

اعضاؤه وتخشن ويصير لها جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها اوقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العظيم الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وام الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله احسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ماذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثر ان البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه

لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة وبذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ابو قته ويقسمه ورب ما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة مسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

## *(حرف الذال)*

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن

مايكون وقيل ان المواشط تستعمله و يأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها و يفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى و يطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد بعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان اسنانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا واتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

## *(حرف الراء)*

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

## *(حرف الزاى)*

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها كروانى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعها الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه

يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى ايام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع في الزيت مات وفي الخل عاش واسعته تزال بعصارة الملوخية

*(حرف السين)*

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما اصادها الذئب وأكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكي) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت في النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفار يوجد في بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة (حكي) ان أعرابيا اصاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوي نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ماأكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمان الشتاء في شهرين منه وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذي غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب في النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطع وبر ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسري في جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفار فاذا شمه علم ان هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

*(حرف الشين)*

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة

مجوفة فاذاهبت الريح سمع لهاتصويت عجيب يكاد يدهش وربماقيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن واخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعرها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل اول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فسار قطار واحد منها وانقض على صيد فاخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

*(حرف الصاد)*

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال لها الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

*(حرف الضاد)*

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره وأليات فى كتفيه وألية على ذنبه وربماتكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لاتحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكروا والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده بلم فربما لايهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لايحفره الا بقرب كودية او اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه

قوله يسمى الصرصار الخ الذى فى القاموس طائر ضخم الرأس بصطاد العصافير اه فهو أكبر من العصفور كما فى عبارة غيره فقوله يسمى الصرصار على قدر الخنفساء ليس بظاهر اه

لايشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وا كثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لايخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب واخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا واقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولأنت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما ملكت يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف لك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لايسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لايعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها

تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشرب به زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقب الامطار وأول مايظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ماسبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنالى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

*(حرف الطاء)*

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر فى السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر فى ايام الربيع ويرمى ريشه فى ايام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول مايشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

*(حرف الظاء)*

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بجودة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة فمها فى الماء العذب فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله

بعد ذلك

## *(حرف العين)*

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوسي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت انه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فائتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلسعت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورمينا في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى

عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هدّ قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن اخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيل لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفار قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر

حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشري في ربيع الابرار ان الله تعالى خلق في زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى اني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضي بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغي قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبي لي امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغي فقال للعجوز ائتني بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فاني قد تبت عن البغي فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان في بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هي في الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى في بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا اعلم الا أن أمي أخبرتني أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني بسكين وهرب وانها حين رأتني كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطني وعالجني حتى اندمل جرحي وشفيت وبقي هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسي البلدة التي هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذي يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذي يقتلني فشدختته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس

لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي فقتله وجعل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وامر أنثاه ان تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فاخذته أنثاه. ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فافلته له

## *(حرف الغين)*

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الا كحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتنفر منها وتتركها وتذهب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لاتزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يارازق النعاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لايضره (الخواص) اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلي به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر في خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكثرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على مانقل والله أعلم

## *(حرف الفاء)*

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات

تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تخذتها الناس فى البيوت وهى من الحيوان الذى
يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين
من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة
وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف
سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه
انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت
وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو اليها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا
فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك
فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل
تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد
بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده
غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره
(فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة
بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل
وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل)
حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ
من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث
سنين ولا يلقح الا بلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه
والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج
فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل
ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان
نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل خفيف الجسم رشيق وربما
مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال
بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان
وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه
ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب
الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ
وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل
الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى
طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى
بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه
قال أبو الشمقمق

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل

وأيت بينها شيئاً يتحرك * فكدت أفعل شيئاً في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم و يتركونه ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث و يضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والا آخر في يدرا كبه فاذا أراد شيأ غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل واحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقاً غليظاً سائلاً أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتناسل في غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساءني ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

## *(حرف القاف)*

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض في الرمل و يحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام و يقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا كرامة له لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة و ينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدي للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل و يصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعد وخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح ومشي * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب امره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه

فيذهب به الى أولاده وهو مولع با كل الافاعى فاذا لدغته لايؤثر فيه سمها الدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

## *(حرف الكاف)*

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لايستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة اربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد راسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لاينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع مايبصره ولايحتمل المغابنة (كركى) طير محبوب للملوك ولهم مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الأجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هنالك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة

وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك ما حكى) أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هنالك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنى عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى أن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذلم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

## ٭(حرف اللام)٭

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

## *(حرف الميم)*

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لايشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا انشف الضحضاح حزن لانه لايستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لاتشبع خوفا من أن يفرغ

## *(حرف النون)*

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولايحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لااله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها أوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشرب به فشفى وروى أن شخصا اتى النبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل أن بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله

تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الطفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بعسل خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور وهو يعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيبمات وعنده الحزن على فراق ألفه حتى قيل انه ليموت كذا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها اثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق اولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا ادركها أدخلت رأسها في شئ اما شعب أو حجر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والحجر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من اذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وافراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه او يعجزهما هاربا وقيل اشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان اصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل

أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

*(حرف الهاء)*

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآه سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

*(حرف الواو)*

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا بما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ

*(حرف الياء)*

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج

ومأجوج أمة عظيمة لايموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة اصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجىء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ركب الجنى انسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ماأمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله

تلات الشتابة

*(فصـــــل في خواص الطير والحيوان على الاجمال)* الضب والخنزير لايلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذي عين فان أهداب عينه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له والبعير لامرارة له والظليم لامخ لعظمه والحيات لاألسنة لها والسمكة لارئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لاحافرله فله قرن ومالاقرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والافعي والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ماقصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

*(الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)*

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ماوجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عوي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولاأحسن ولاأجمل من الانسان وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتي مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار

سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين
ذراعا كان يسمى دنق أو دبقى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير
وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان
صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل
وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا
كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله
تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله
ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية
قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه
فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم
الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال
ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى
أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا
في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل في التيه
ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا
في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه
وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله
ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز
في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن
ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة
الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل اصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم
الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام أسماء
عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها
واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك
حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا
بسنتين * ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد الحميدية في جبل
من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل
القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه
(وروى) عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا
من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع
أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا
ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في

أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما * ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبى منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما (وذكر القاضى) عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور البربرى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين * واما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبراس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت فى أيديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزوينى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فاغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار ونظير هذه الحكاية ما ذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وولدها ولدا

ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكادأن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكرا العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الالــه أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان فى بلاد السودان أمة لارؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهما لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التى لارؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالمغرب بحيث تكون أذكى

من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أي حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم)*

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه

السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك ثم ألقى عليه قوة شهوة الفساد فهو لا يبالى كذا يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجالسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

•(فصل في مكايده لعنه الله)• منها أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فان أرسلوها اليك فاجعلها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

•(فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة)• منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ من في بعض المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما

كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي والله انى لأعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الابرئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وانشأ يقول

ياذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

ياذا الذى للحين يدعوه الحق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف

والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

*(الفصل الاول في ذكر البحار)* روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ارمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شئ ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا ونحن نأكل منها

ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع
منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها
وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها
فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله
لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة
فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها
مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك
الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع
البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها
ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر
فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت
الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها
الى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر
أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل
السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فارسوا على
جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت
الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه
وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى
نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا
وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات
ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب
كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع
فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت
تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها
فامسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الحجر فتركت الحجر وخرجت
من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هنالك
عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء
فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب
الزوارق وتأكل كل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها
الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه
قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة
فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضطرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى

وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضعر فلم أقدر أن اقلعه من مكانه فتركته بجزاءه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كانما اقطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طوله بلا طول السمكة مائتا ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا ايضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا الله فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يحب سماع الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى

كثيرة

كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه
في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لاتحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان
الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من
أفواههم مثل لهب النار ونخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا
متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه
ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها
قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور
ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر
وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من
نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية
اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها
الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري
والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق واق خلف جبل يقال له اصطفيون
داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين
وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها
أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار
الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط
وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب
ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر
بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام
واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من
الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما
فرغ من بنائه سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا
وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر
ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط على
حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر
وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له
هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين
وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها خمسة فراسخ وهي حصينة ذات كروم
ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى في وجهه التراب فان أبى الا
الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من
بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض

المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بوادفلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعه ما قال فلما وثقا منا اثر لاهار بين فتبعهما الكلبان وجدا في الجرى فأمسكا شخصا منهما قال فأدركاه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني ❊ دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان ❊ الى متى الى تجريان ❊

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

❊(الفصل الثاني في ذكر الانهار والآبار والعيون)❊ قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكن نشير الى بعضها فنقول ❊ النيل المبارك ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ❊ نهر الفرات يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من اعمال الفرات ❊ جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين ❊ سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن ❊ الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض

الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يحوغريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * واما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فينقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر بلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

*(الفصل الثالث فى ذكر الآبار)* قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال اما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها تجمع أرواح الكفار

قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوي اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كان يغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه ما لم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لجة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

## الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول

*(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب)* روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

*(الفصل الثاني في ذكر الجبال)* قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه السلام كناه بذلك حين اقتبس

منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل اروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء في الصيف يصير جلدا وفي الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح في الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فلا شيء يجري (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة ويدخل في كوة هنالك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

*(الفصل الثالث في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها)* قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بني على وجه الارض الصرح الذي بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح في ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التي لم يخلق مثلها في البلاد (حكى) الشعبي في كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة في الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لي عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبني مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدني به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا في الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك في يد أحد من الناس في جميع الدنيا شيأ

من الذهب الاغضبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤسه مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم

القيامة

القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

* ومن المبانى العجيبة (حائط العجوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل انها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى * ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذرا وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور ملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها

تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له صوت يعلم به أهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر انه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبية بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف * ومن المباني العجيبة (ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول

كل شرافة من شرار بفه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)*

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف واشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا و يمنع الفزع والخفقان و يقوى العين كحلا و يجلوها اذا كان ميلا و يحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط و يبرأ سريعا واذا مسك فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لادواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الاوله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة وييسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه أنه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصينى) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر و يضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها

ويصير درًّا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة
فان كان في بطن هذا الحيوان شيء من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية
وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه
يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب واذا خلط مع الكحل
شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق
والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب
الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الخمري ثم العصفري
وأردؤه الازرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه
الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج
ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع
تعليقه والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل
(البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض
النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر
مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر
مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع
باشراق مفرط وما بينه رقيقة شفافة وفي ما بينه ممر اذا حول عينا تحركت يسارا وبالعكس
ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند
يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة
كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق
وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي الطير
فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان
الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها
ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل في
انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من
النار ذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة
الصغيرة منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة
انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر
وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح
القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقي وخلنجي
وأجوده الاسحاقي الازرق الصافي خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس
ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت
بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى
ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه بعر

الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمني أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأي ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل في بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبي وسيلان لعابه وينقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور في ذلك الموضع قطع في الليل لانه في النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا في معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس في العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندي لا يعمل فيه الحديد والبيت الذي يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يحمله في عسكره (الحجر الماهاني) من تختم به امن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقي انسان من حكه يفعل فعل السم واذا سقي شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلي بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه انه يقوي النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد في بحر الهند وهناك لا يتخذ في السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث الفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه في العنق يزيد في الذهن واذا سحق وشربه من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد في عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع في نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد في صفرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو

ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى فى العجين طيبه و بيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)*

وما ذكرت ذلك الا انى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

*(فصل فى الصوت الحسن)* قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله قال ان أبا كم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تتخلع أوصاله مما كان يتعجب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر ياأمير المؤمنين بأن يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح

وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار ومافيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذبه أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى تنام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الا شاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركبانية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد

الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا بن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى ابن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره ويحلها المغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف والطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله اني لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره اني قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذني عليلة فمره ان يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغني فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع هندا فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * فو لجنا فان كا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما ظن أنثى تسمع هذا الاصبت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء القينات والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن ابن آدم ويبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء

قيل ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال نويبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم جاء بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وقيان على شرب جميعا * دافت لهم باطية هدور
فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادى ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافق المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما

وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول فى ابن جامع قال ياأمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدوة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا ياامولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم أنك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دع عنك صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا لكم أهل البيت فقال له الحسن مافعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله ابن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فررت بباب أبى عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى يا بغيض من يحتشم اجلس

فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المسدود ودوديس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المسدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

* الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * أرفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المسدود يقول

* يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا اضوأ شباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلن بقول اللائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أغنته لألاؤها عن كل مصباح
ما زلت أسقي نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المسدود وقال له غن لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لولا الذي تلفت نفسي بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصي عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجالس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكي) عن الرشيد انه قال يوما

للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فياويح نفسي حسب نفسي الذي بها * وياويح عقلي ما اصيبت به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به فسخر به فدعاني نصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأته الجارية فقلت انها اخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا وتترك كذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي فقال الوليد ذلك اليك فحلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هولك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتهما صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما ترجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نتذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما رهبني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بريانك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طوى الذ الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنىء والمرىء ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمع بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا

معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها اشعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت اهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومي غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت امير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في المعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجالس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بانعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجالس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رآنا رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك

على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغضب على فنسأله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة لك من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ماسأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعى بابى يوسف القاضى ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ماسألك قلت سألنى رضاك عنه ياأمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قال وذكران عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قال ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ماأدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم أقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)*

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله

ابن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغنا فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفا فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفي حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب ليلة ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

اني رأيتك في المنام ضجيعتي * مسترشفا من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا * بتنا جميعا في لحاف واحد

ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * في راحتي وتحت خدك ساعدي

فقطعت يومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله مني برغم الحاسد

وتبيت بين خلاخلي ودمالجي * وتحل بين مراشفي ونواهدي

ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر منهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت

دون ذلك فقال أبو نواس هذا اجزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا نوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دام فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين لليلة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى * وقد زاقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة افاء أشربها من كفها وأمسح فى بخدها فاطرق سليمان مليا الا يحير ا بانحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال ابا زيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكندرانى يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صفراوان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها

يتوابتين

بذوابتين تضربان الى حقويها الهاصدغان كانهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان محلوأتان سحرا وأنف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء مالا يشتكي وعلاج مالا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد ان تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله بدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما بله السحر

في ليلة البدر مايدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو خليت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يروعك منه صوته ولهله * الى آمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا والله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حلمك على ذلك حملك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين ان يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) ان الرشيد قصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة الحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرفا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه

فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه

واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا

وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا

كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة واهدى داود بن روح المهلبي الى المهدي جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا هجرن حبيبا خان موعده * وكان منه الصفو والعيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تاخير

ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجواري وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدي * أبكي عليها آخر الأبد

كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد

وروضة كان بها امرتعى * ومنهلا كان بها موردى

كانت يدى كان بها اقوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

وللمتوكل فى قينة

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل

فان غضبت فأحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جوذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجالس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له اصلحك الله انك لى لذتك ولا لذة لى قال وما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فامر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين واهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * اهيم من الحب فى كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله ما اظنهما فهمتا عنى وما اظنهما الا مكيتين واهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى اين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما * اقام المنادى بالعشى فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما اظنهما الا شاميتين واهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى اين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتى اين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلاء على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واستوعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما اظن الفاسقتين الا بصريتين واهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما اراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتى اين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت اكثر اقتراحا من هذا

الرجل قالت مايقول قالت يسأل أن نغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما ابازانيذان ان لم تعلماني به انا اعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي اعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المخنث هذه الابيات

تكنفني الملاح واضجروني * على ما بي بنيات الزواني

فلما قل عن ذا اصطباري * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

قالت تأتي من باب الذهب وانشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان اشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها ومايطارحها الغناء فلما اراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك اذكرك به قالت انه ذهب واخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم اصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها علي الناس لايشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيه وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فألقي الشوق اليها فعسى ان تغنيني شيأ في معنى ماذكرته لك فاطرق مليا ثم غنى شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فاطير

فما لنعيم ليس فيه بشاشة * ومالسرور ليس فيه سرور

وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل ان يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف واخبار من مات بالعشق ومافي معنى ذلك وفيه فصول) *

*(الفصل الاول في وصف العشق) * قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كان السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي ان يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق

رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى ما بلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداثة ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وما ذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبته وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا لملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما

أمرها أبوها فلما انتهت الى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذي كرهته لاجله أخذ في الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حب هذه المرأة لايدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الي ويسألني أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست في خبائك فاني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والاكرام بقدر ماتستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانته سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ماأمر به * وكان عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة ياأبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية في قيس

لم يكن المجنون في حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * واني قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

واني ليرضيني المرور ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين امرأتين هذه تساررني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذري يقول

لو حز بالسيف رأسي في محبتها * لطار يهوي سريعا نحوها راسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي لو أمرني الله أن اقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي ان تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال انا الزاد فضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان اللقاء كان يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر

كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلاب

ان أكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا اتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس

فجئت وما في القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس

فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد ⁕ ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * مالي بما تحت ذيلها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكناية على سبيل الرمز ⁕ وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اي والله فمن هو قال اني لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال اني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم انه دعته بغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى مادعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لايعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لايظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه انى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ماان دعانى الهوى لفاحشة * الانهانى الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولامشت بى لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لاتنظر فتلك بلية * بلى كل ذى عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لاينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال ياأمير المؤمنين والله ماذاك لخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس

على وان أباها منعني من تزوجها الفقر وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نزل القدر هو يت فأنشدها هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لى أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا اشعارا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت يمسك بقرنيها وتفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى أمتعنى بحبها وأشقانى بطلابها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن للئيم لم يلدنى كريم ومر سيدنا عمر رضى الله عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جدة قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين أما أخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد

خرج فى ازار ورداء و بيده الدرة فقالت له ياأمير المؤمنين والله لا تقن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تم تقبهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك ياأمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أوحرمتنى * ومانلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقدكان لى بالمكتين مقام
ائن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فألام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة او أحد تحبين ان أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت ياأمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاى وأحب ان ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها واما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا امير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك اولست أقدر على حوائجك قال بلى ياأمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان ياأمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت ياأمير المؤمنين ان تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها ان تغنى ثلاثة اصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك ياأمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة ارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تامرها ياأمير المؤمنين ان تغنى بهذا

الشعر

لاأستطيع سلوّا عن مودّتها * او يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذاقلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها ياأمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الاعرجا بى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند الارض كما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها ياامير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا اسلوكو أبدا * مالاح بدر أوبدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه ياأمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لوعاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأعجب ما مر لك فى هذه الاغانى ومارأيت من الجوارى قال نعم ياأمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لاتخرج منى ببيع ولاهبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لاازداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى ان بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها فى تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الاعتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى اصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لابأس عليك ولاخوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى اذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى بغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أرشيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد عويل عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله ابن عجلان الهندى رأى أثر كف عتبة فى ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيثمى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد فاذا وردعليك كتابي هذا وقرأته فسيرلي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وامرهم بما امره به أمير المؤمنين وامرهم ان يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد امير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه اني اشتري له ثلاث جوار مولدات ابكارا وان اكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى اطال الله تعالى بقاء امير المؤمنين فانها جارية عيطاء الف والف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ستون الف درهم واما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف الغزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى امير المؤمنين فقال أحد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا فتنته بها الساعة فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه واتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد ان يهرب ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب

ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها او لا تحتال فقالوا يا امير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم امنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم انشأ يقول

امير المؤمنين اتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفافا بنا ام هوى الجارية قال وحق رأسك يا امير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما اعده لها امير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو اهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما اصبح الصباح واراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فاخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من اهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا ان الله تعالى ايدنا بنصره لكادت الدائرة ان تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمته فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب امرت اصحابى بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخرجنا واحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام اعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية ثم سار نامائة رجل قال خالد فرأيت اصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد ان انشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى اتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت اشد من حملاته ولا اسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانا وذلك من حيث جئت قال يا خالد ما انصفتنى اتركنى حتى اجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت اهله ان يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وانا ابكى اشفاقا على حسن شبابه ثم اوثقته على بعيرلى فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد اسألك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمى على ناقة اخرى الى جانبى قال خالد فاخذتها وشددتها على ناقة

اخرى الى جانبه ووكان بهما جماعة من اشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايانا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر ان لا يسلم ابدا فاخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وانكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فابركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ انا احدثكم به فقلنا من اعلمك به يا رسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة اجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا اوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى ان اظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت اطوف واطلب الجادة فلا اجدها فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت اسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت اقرب اليه الى ان هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك اتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا واهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي وطعام غير بطي فنزلت فنزع شملته وبسطها حتى ثم اتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما كان توضأت وصليت واتكات فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا الجارية قد اقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا في احسن حديث والذمع شكوى وزفرات الانام بالايهم احدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم اما علمت اني انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا انصرف حتى استضيفه الليلة وانظر ما يكون من امرهما فلما اصبحنا قلت له جعلني الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالني امس تعب شديد فاحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو اقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فاججها وشواها وقدمها الي فاكلت واكل معي الا انه اكل اكل من لا يريد الاكل فلم ازل معه نهاري ذلك ولم ار اشفق منه على غنمه ولا الين جانبا ولا احلى كلاما الا انه كالولهان ولم اعلمه بشئ مما رأيت فلما اقبل الليل وطأت وطائي نصليت واعلمته اني اريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيأ فاظهرت النوم ولم انم فقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فابطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوي فحركني

فاوهمته انى كنت نائما فقال يا اخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قال قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى واعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى ايضا محبة لى اكثر من محبتى لها وقد منعنى ابوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وحدثتنى نفسى ان الاسد قد افترسها ثم انشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها * اعاقها طرب ام صدها شغل

نفسى فداؤك قد احللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة واتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد واكل اعضاءها وشوه خلقتها ثم اخذ السيف وانطلق فابطأ عنى ثم اتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشأ يقول

الا ايها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جربت حقا لك الشرا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا اخى الا ما قبلت ما اقول لك فانى اعلم ان المنية قد حضرت لا محالة فاذا انا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه واجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما اوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح اقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت اتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وانا الاطفها الى ان اقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى ان مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا انا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن

ففرق الدهر بالتفريق الفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم اهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى اهلى وانا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى ان زوج عزة اراد ان يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى افوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله تخبته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها فذاتته فوقف على الجمل وقال

حييك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حيثهاما كنت ذا مرف * عندى ولامسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال انا كثير عزة فمن انت يرحمك الله
قال انا الفرزدق بن غالب التميمي قال انت القائل

رحلت جمالهم بكل اسيلة * تركت فؤادي هائما مخبولا

لو كنت املكهم اذا لم يرحلوا * حتى اودع قلبي المتبولا

ساروا بقابى فى الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا انى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة افزع هشام بن عبد الملك
وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواد عا وافترقا فلما وصل
الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه
بالحضور وعندنا النطاق عزة من زوجها ونزوجها اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق
فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه
وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال الى حى من بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به
شيخ من الحى فقال يا ابن اخى ارأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى
وينتف ريشه فقال له الشيخ اما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا
على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى ان وصل الى دمشق ودخل من احد
ابوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا
الله ما اغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه
جنازتها فخر مغشيا عليه فلما افاق انشأ يقول

فما اعرف الفهدى لا در دره * وازجره للطير لا عز ناصره

رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف اعلى ريشه ويطايره

فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد (وحكى) الاصمعى
قال بينما انا اسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

ايا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت انفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

وحكى ايضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى انه قال بينما انا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى اوفى البرية كلها * واقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان اوفى البرية وبم كان اقواها فقالت يا هذا انه ابن عمى هويته فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى ان مات والله لاندبنه حتى اصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم ابح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم امره * من الحب الا ان يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها او الحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى اشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما اشبه ذلك وفيه فصول)*

*(الفصل الاول فى الشعر)* قد قسم الناس الشعر خمسة اقسام

مرقص كقول ابى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى انت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون ان يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة ابواب حسبما بوب ابو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن ابى الاصبع الذى وقع لى ان فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وادب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

ابن نباتة

أأغصان بان ما ارى ام شمائل * واقمار تم ما تضم الغلائل
وبيض رقاق ام جفون فواتر * وسمر دقاق ام قدود قواتل
وتلك نبال ام لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى افدى شادنا قد الفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل
امير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما الوى وقلت فما صغى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
اطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى * وينصب هجرى عامدا وهو فاعل
تفقهت فى عشقى لمنسل ماغدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما انت فاعل
فانى حنيفى الهوى محنبل * بعشقك لا اصغى وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله اكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
ننفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه او ريقه الشنب
كانه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
البس من نكد الايام يحرمها * فى ويلثمها سهم من الخشب
من لى باغيد قاسى القلب مبتسم * لاعن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل اعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
اشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها ابوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن او فى قشرة العنب

البهاء زهير

يعاهدنى لا خاننى ثم ينكث * واحلف لا كلمته ثم احنث
* وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
اقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
امولاى انى فى هواك معذب * وحتام ابقى فى الغرام وامكث

نعم ذمرة روحي ترحني ولا ارى * اموت مرارا في النهار وابعث
فاني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
اعيذك من هذا الجفاء الذي بدا * خلائقك الحسنى ارق وادمث
تردد ظن الناس فينا فاكثروا * احاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من اراد ويبحث

النابلسي

ما كنت اعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك اسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لي للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيوني ان ترى لك سيدي * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

ابو الحسن الجزار

في خده من بقايا اللثم تخميش * وبي لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبي من الترك اغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا انثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلي ان تكن عن حسن صورته * اعمى فاني عما قلت اطروش
كم ليلة بات يسقيني المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه بيديع الزهر مفروش

سيدي ابو الفضل بن ابي الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لي خصره المضني فناسبني * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبي امره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

القاضي مجد الدين بن مكانس

اهدى تحيته وجاد بوعده * افديه من فرد بدا في سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته في خده
اسكنته قلبي فاعدت خده * نيران احشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل اهيف * روت العوالي عن مثقف قده
ياعاذلي في حبه لو ابصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت ان ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده

ما جاد غيث الدمع الامن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلى

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * بأى ذنب وقال الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبى وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى انها كسلت
واوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماترآها الى كل القلوب حلت
من لى بأحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وجمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
اما كفانى تكحيل الجفون امى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
استودع الله اعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم القت بجمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شربته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفى عليه تخلصا * لا والذى بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدر الدين الدمامينى

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه وحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو ما زال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر طال وجدى * فيه يا عاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * اتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة واصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو ان قلبك لى يرق ويرحم * ما بت من ألم الجوى اتألم

ومن العجائب انني لاسهم لي * من ناظريك وفي فؤادي اسهم
ياجامع الضدين في وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعدان دمعي سائل * وزوّد فؤادي نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهو اخمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبي غلام است غير غلامه * مذجادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ماان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
خذوا أحاديث الهوى عن صادق * ما ضل في شرع الغرام وما غوى
ويهيجني رشأ أطالت عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس الاوا كتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروي الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى

حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

يا حسنا ما لاك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد ابى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسنى * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كالك عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن اكثم

دنا هاجرى لهوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى وولى وما لوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا

عجبت لثغره البسام أبدى * لنا دراوقد سكن الزلالا
شهدت بشهده يقيناً لأنى * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضى فخر الدين بن مكانس

يا غصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا
يا رائحا بعد أن سبانى * حسبك رب السماء تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعدّ سقما بكى وعدّد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا الا غوصوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطى

وورد خدّ نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح بحمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائى على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا

شبه السيف والسنان لعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله ايضا

بابى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

وقال آخر

تملك رقى شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى اهيف القد
اقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديرى

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب
وذكرها انس روحى وهى نائية * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم اصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش خلىّ بات يلعب بى
عذابها فى الهوى عذب ألذ به * ومر هجرانها احلى من الضرب

فان نأت اودنت وجدى كما علمت * تشب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طللا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت ارضا فاعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم ازل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وايامنا بالقرب بيض ازاهر * واوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وارواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا فى مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل انت يا سلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى ام حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وانساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لاعاش الخؤن المعاهد
وهل انت غيرت الذى انا حافظ * وهل انت حالت الذى انا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك لسلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى اننى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * اقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقات البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ماتعهدينه * وسوف سلوى فى المحبين كاسد
وجل مناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد

وتحلف لي لتلبسني سقاما * تهي جلدي به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون * فتضنيني وتصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب * يفيض دما على صفحات خدي
ومن لي ان يقال قتيل وجد * واذكر في هواك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

سلوى عنك شيء ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميري * ووجدي فيك أيسره عذابي
ومالك عن سواد العين يوما * ومالسواد قلبي من حجاب
وما اخضرت دواعي الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابي

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وأمحلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا بأطلال محتها يد النوى * فأظلم بالنأي المشت نهارها
فقد نابها رعيا من الانس ان رنت * بمقلتها يصمي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازل هامي الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكري لناظري * وا كثر ما يضني النفوس افتكارها
وهيج دمعي حر نار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صبك سائلي
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي
الا يا سليمى قد أضر بي الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم ابح * بسر فباحت ادمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى * فقد عاذلي حال له رق عاذلي
الا ما تجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي

عسى تنطفي بالوعد ناري واشتفي * فبالسقم اعضائي وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لولا تأوهي * وعظم انيني لايراني مسائلي
فرقي فقد رقت عداي لذلتي * وفاضت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها * ومافزت في الايام منك بطائل
فما آن ان ترضى علي وترحمي * ضنى جسدي فالوجد لاشك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع شملنا * نبي له فضل على كل فاضل

ولد رحمه الله تعالى

يا ربة الحسن من بالصد اوصاك * حتى قتلت بفرط الهجر مضناك
ويا فتاة بقتان القوام سبت * من في الورى يا ترى بالقتل افتاك
لقد جننت غراما مذ رأى نظري * في النوم طيف خيال من محياك
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * اضحى عليلا حزينا لم يزل باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي * فهل ترى تسمحي يوما برؤياك
ان كنت لم تذكريناب بعد فرقتنا * فالله يعلم انا ما نسيناك
ما آن ان تعطفي جودا علي فقد * اضحى فؤادي اسير الحظ عيناك
ما كنت احسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواك
حتى تولع قلبي بالغرام فما * امسى اسيرا سوى في حسن معناك
رقي لعبدك جودا واعطفي وذري * ولا تطيلي بحق الله جفواك
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما أقساك
رق العذول لحالي في الهوى ورثا * وانت يا هند لا ترثي لمضناك
والله لومت ما أسلاك يا املي * ولو فنيت غراما است انساك

وقال آخر

كأن فؤادي يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى * فؤادي سرى في الركب وهو عجول
وقالت لي كيف حالك بعدنا * لتعلم ماهذا اليه يؤل
فقلت لها قد مت قبل ترحلي * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلي طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمي لم يزل متزجفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدري فراقنا * بيوم وداع مااليه سبيل
قلعت لعيني في هواك باصبعي * لكي لاأرى يوما علي ثقيل

وقال الوأواء الدمشقي عفا الله عنه

يا من نفت عني لذيذ رقادي * مالي ومالك قد أطلت سهادي
فبأي ذنب أم بأية حالة * أبعدتني ولقد سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى * روحي وقلبي والحشى وقيادي

ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يا من حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها ما كف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغماد
وتعطفى جوداء لى بقبلة * فتبسم مبسمكى شفاء الصادى
مانت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لودام لى فيك الضنى * يا حبذ الارالك من عوادى
وأجيل منك نواظرى فى ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
واقول ماشئت اصنعى يا منيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الامديح المصطفى هو عدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

وقال البهاز هير

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوّق
وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبرونى أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى * فما للنوى يرمى بليلى المراميا
اعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لاأعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا
خليلى الا والله لااملك الهوى * اذا علم من ارض ليلى بدا ليا
خليلى لا والله لااملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
ولو ان واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبى الحياة لو انه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على أننى راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا على ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فما لى ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لاتجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال

فقال خلقته لومات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما و بياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع الند الندى
وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد رى
الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
احيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفته وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المتيم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحييت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تدمعى أفعاله وترفقى

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى وردوجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جوزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج

جادت لعرفانها أني المريض بها * فما علي اذا أذنبت من حرج
جست يدي لترى ما بي فقلت لها * كفي فذلك جوى لولاك لم يهج
جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي * والصمت في الحب اولى بي من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي لجادلنا * وكان أبخل من عوز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * في ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحيا من مقبلها * اذ نبهتني اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوي فما نظرت * من رشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وأبدت لي سرائرها * في ليلة الوصل بل في غرة القمر

وقال ابن الساعاتي

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الواوا الدمشقي تضمين

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولي لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السهاد لانني * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزور ليلا فالوت ٭ وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت ٭ كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلي

قد سلونا عن الغزال بخود ٭ ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه ٭ ودفعنا بالتي هي أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا ٭ سادبثيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقي ٭ قلت لها ذاقه سواكي

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا ٭ قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهي ٭ وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وملولة في الحب لما أن رأت ٭ أثر السقام بجسمي المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم ٭ أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال ابو الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا ٭ اللابسات من الحرير جلاببا
الناهبات عيوننا وقلوبنا ٭ وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحيا ٭ ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا ٭ فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه ٭ من حر أنفاسي فكنت الذائبا
ياحبذا المتحملون وحبذا ٭ وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا ٭ من بعد ان انشبن في مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا ٭ غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ٭ ولم تر قبلي ميتا يتكلم

الشريف الرضي

وغيس بين مزعفر ومعصفر ٭ ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضي ٭ قالت روادفها اقعدي وتمهلي
واذا سألت الوصل قال جمالها ٭ جودي وقال دلالها لا تفعلي

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف ٭ حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خصباء منهل ثغرها ٭ در وريقتها سلاف قرقف

وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يا بانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديوى

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب
وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هو فى الاولى الى حبيب

وله فى المعنى

تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبردا الصبابتى * فاضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتصلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * لما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذى ام عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا ابغ حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * ونخان فكيف آمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قالت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

وقال آخر

أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

ابو عبد الله الغواص

من عذيري من عذول في رشا * قاصر القلب هواه فقمر
قمر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لو مت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلواً ولا نظرت * عيني لغير محيا وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصدع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كأسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

يا ذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ما ضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى بجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فو العصر ان العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن ابى الوفاء

يا نازلا منى فؤادا واحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

الحاجرى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائع
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام بلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعذب

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى • أفرق بين ليلي والصباح

وقال آخر

ولي فؤاد اذا طال النزاع به • طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له • أعز من نفسه شيء فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مي أنها • قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا • بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربي

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى • بأهل الهوى فاتفقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلذع القلب حرها • بانضج من كي الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لمقت ذات يوم لقيته • بمكة والانضاء ملقى رحالها
جعلت أخبرني أما تأثم التي • أضر بجسمي منذ حين خيالها
فقال بلي والله أوسيصيبها • من الله بلوى في الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة • سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت • مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكني • وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابي وقولا في حديثكما • ماضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة • ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدي غضب • فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن ابي الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا • تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا • فما ترضى بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضي بنار الهجر مات حريقا • والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته • الا ظننتك ذلك المشوقا

وقال آخر

وأجيل فكري في هوا • ك بلا لسان ناطق
ادعو عليك بحرقة • من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الاحبة قلبه • حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا وماله به الهوى فاذله • ان العزيز على الذليل يتيه

انظر الى جسد أضرّبه الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه واخوه

وقال احمد بن طاهر

تقول العاذلات تسلّ عنها * وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف وتظرتمنها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق مولى المهلب

هبيني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فاين الفضل منك فدتك نفسي * عليّ اذا أسأت كما اسأت

وقال ابو العتاهية

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ماأدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوّت
اذا اشتدما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدى واسكت

وقال بشار

ياقرة العين انى لاأسميكى * أكنى باخرى أسميها واعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الاشهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي ياأحسن الناس أننى * احبك حبا مستكنا وباديا
احبك مالو كان بين قبائلى * من الناس أعداء لجر التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن فى الحسن اضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى
ملكت الحسن اجمع فى نصاب * فاد زكاة منظرك البهى
وذاك بان تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهى
فقال ابو حنيفة لى امام * يرى أن لازكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك
اقمنا زمانا والعيون قريرة * واصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

الم تعلمي ياعذبة الماء أننى * اظل اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بى يابين حتى لو أننى * من الوجد أستبكى الحمام بكى ليا

ابو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع

لأعذبن العين غير مفكر * فيما بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي اوقعتني في حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وقال العتبي

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسي

ومهفهف كالغصن الا أنه * تصبو الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

ما زال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعاتل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناق فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال آخر

يا ركان هذا البيت انى لطائف * وفى السكون اسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
وبى ذهبي اللون صيغ لحتفي * يريد امتحانا لى وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبي اللون انك حائف

وقال آخر

أسفى لليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من اعمالى
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

لو أن لى في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب

تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب

ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب

ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب

عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبي سلمة

يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بامر عجيب

أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب

وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها

بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا عاملوه هذا الذي بقي

ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ما شاب مفرقي

وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

وقال آخر

ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معي

ومازلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع

والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

يا نازح الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما

أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم نحت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى

ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ماجرى

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان غبن مذ غاب شخصك عنهما * يأمرالسهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ما جرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لا تتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا انما كى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح
ذاك الزمان مرحلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

عللانى بذكركم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدا نى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

وما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر فى أولى تساريه
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا لأن الصبح نم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حاله
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت ياليل أمالك سحر

وقال آخر

ياليل طل أولا تطل * لابد لى من سهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فلليلى تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال آخر فى ليلة ممطرة

اقول والليل فى امتداد * وادمع الغيث فى انسفاح
اظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

ومما جاء فى الاشعار الجرية قول صفى الدين الحلى

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لونطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والأدب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذات عقلى صدا فاحين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا ياصاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى
توج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطلولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لأكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لوترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكأنه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بأنك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها ياسيدى * تأتيك باسمة وانت تعبس

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهراً ميت طلا * فميزما قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * ومطلعها الساقي ومغربها في
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كأنجم

وقال آخر

كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوّار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست ادري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فأسقني * ما ضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاسرت * سراؤها في باخل الا سمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار وافتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
ما زلت ألثم بدرا * بها واشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس تريناآية الصبح في الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقي من غياهبها * راحا تسل شبابي من يدا الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * ووالى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى معدنى

تقى الدين بن حجة

حيا بها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا اذا ما نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد ترتب فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

جولان العاذل

اذا ما الخمر في الكاسات صبت * رأيت لها شموسا في بروج
وان جاءت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال في الشراب المطبوخ

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار في أي شئ تظلم العنبا
ان التي طبختها الشمس أنفع لي * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا او اعتصر عنبا * فبين هذين فرق فابتصر يح
هذا من الحي للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مداما * أخرتها لصبوحي
واستنكروها وقالوا * تحللت قلت روحي

وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالبا كيا دمعه * والارض تضحك والازهار في فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

ابن نباتة

اما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة ورديه قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرد الملاح

وكان الثلج كالكافور نثرا * وتارى بين نارنجى وراحى
فشمومى ومشروبى ونارى * وثلجى والصباح مع الصباح
لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها * قدود سقاتنا فى كل حال
فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لاشك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

وقال آخر فى الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى ان تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

وقال آخر

فيا بكر با كر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور باكر تلك بها بكر
وداوى خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبرى

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمراء رقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج يعزى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرح فى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن

باطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيئاً باخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موات
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فحجبت للنيران فى الجنات
يفسل فى قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف اهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى تنسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتا هاروت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعال بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها ادرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب

جئنا الخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمر افندى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب اصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة اعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال

قالوا اترك الخمر واجتنبها * لانه ذا الحرام حدا
قلت أراها الروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل فى شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق
فمن يطيل الحديث والكاس فى يده
وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

وقيل فى شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أقاتل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس يخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز
فنى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال فى شرب الثلاثة

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذا * يسقى وذا بالشرب مسرور

وقيل فى شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل في شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فامك زانيه

ومما قيل في الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطاقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل إرتعدت يداه
نديم دأبه في السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل في قدح

غرامى ووجدى بالذى كان في الثرى * مهانا فاضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض اصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى او حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش الهنئ هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههمو شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك في الحضور وفى يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشرب بها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن في كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل او نقش الخواتيم
لا صاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان في ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدى الجنوب مطارفا * على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض اقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدنى وصلا الذيه * عند المنام ولا والله ماوصلا
قبله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر فى ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بلام عذاره وبنونه
جد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

فى جارية ساقية

نديمى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس فى يده

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قد بنزه طرفه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفى الدين الحلى فى عود

وعودبه عاد السرور لانه * حوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكانه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال آخر فى زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دونها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم فى شمعة

حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وادمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هواه وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الاباريق تسفك
فلم نر شيأ كان احسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

وقال آخر

اما ترى الارض قد اعطتك زهرتها * بخضرة وا كتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
والارض لا تنجلي انوارها ابدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

ايا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

وقال آخر

قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها النسيم من الاكمام

(ومما قيل في الازهار والثمار) قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب

الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقياله زائراً تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهراً ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطحبا * مادام للورد أنوار وازهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طوال للنام الناس اعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهراً وعشراً وخمساً بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظراً من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * اواعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم في الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج ازكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج

وقال آخر

يا مهديا لى بنفسجا ارجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

وقال غيره في النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام اها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

انت يانرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان اوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد فى زهوه * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل فى النينوفر) لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ماشأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت مابال اصفرار بدا * فيك وماهذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولوذقت الهوى صفرك

ومما قيل فى البان

قد اقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفروالى برا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذا عليه
فاحمر من خجل فأنبت خده * اضعاف ماحملت يداى اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ماانشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كانما صيغ من ذروعقيان

والطير

والطير ينشد في اغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فاني

وقال آخر

قد اقبل المنثور يا سيدي * كالدر والياقوت في نظامه
ثلاثة لازال كانفاسه * ومخبر يشتنا الناس مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل في الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفأل يشعرني بخير * وقد اهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان الياس مين

ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي

سقيا الارض اذا ماغنت نبهتي * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كان سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي

اهدى الذي زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكي ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفني مقبله * لثماً وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل في الجلنار

وجلنار مشرق * على اعالي شجره
كانه في غصنه * أحمره واصفره
قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

ومما قيل في الآس

أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكانما يحكيك في حركاته * وكانما تحكيه في الانفاس

ومما قيل في الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصني نرجس وشقائق

يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوف وذلة عاشق

وفيه ايضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذار تبدى في سوالف أغيد

(ومما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التي فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حبا الشمن تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضة

وقال آخر

يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

في الليمون قول ابى الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حياتم القر * حلو المقبل الملى بارد الشنب
كانها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه ايضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد
قد كنت تاهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون في * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

في النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة في يمينه * كجمرة نار وهي باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ في دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا ميلتها الريح مالت كأنه كرة * بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان
اشبهها انها ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى في ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق برياحبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لايدرى

في التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسي وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغاني قد جمعن على طبق

وقال آخر في تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خد المحب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبيـــة * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمرجات باحمرار أديمه
تذكرني شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح في خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه ايضا

اهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل في السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفوا كه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق

اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المزاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال اخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل فى الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

ومما قيل فى المشمش

بدا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غض اغصان من الروض ميد
حكى وحكت اشجاره فى اخضراره * جلاجل تبر فى قباب زبرجد

ماقيل فى الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى اخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الازر

ماقيل فى الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ماقيل فى الفستق

تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ماقيل فى البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا احمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل فى النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون
كانما النبق فيها * وقد حلا فى العيون

جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

وممّا قيل في اللوز

ومهدالينا اللوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا

كانهما احبان فازا بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا

في العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذواقتك من يده

نوعان من عنب جاآ على طبق * كان طيبهما من طيب محتده

فابيض العين يحكي لون أبيضه * واسود العين يحكي لون أسوده

في قصب السكر

ورماح لغيرطعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف

كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

ومما قيل في البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق

فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام

تخيل لي شمس الاصيل اهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

ومما قيل في البطيخ الاخضر

وظبي أتى في الكف منه بهدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق

فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق

فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق

صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذوالهم وابتهج

وأقبل يفريها بحديه وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

ومما قيل في القثاء

انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرذ خضرا ما لها ورق

اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه اني بكم أثق

ومما قيل في الباذنجان

وكانما الابذنج سود حمائم * اوكاوه حمل الربيع المبكر

نقرت مناقره الزمرذ سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

ومما قيل في الانهار والبرك والنواعير

أماترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كانه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر في بركة

يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كانها اذ صفت وراقت * في الارض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربي

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وقال آخر

يوم لقانا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكانما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كانهم نجوم في المجره

وقال آخر في النيل

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعي
في غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعي

وقال آخر

كان النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال آخر

وفت اصابع نيلنا * وطغت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذي اصابع ذي أيادي

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر فى ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأمادموعى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وابكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

وفيها أيضا قال الخطيرى

رب ناعورة كان حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكى

ابن تميم

تامل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذاك يدور

*(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)*

لابن عفيف فى قاض مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى فقيه مليح

وبهجتى ظبيا غدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن

حديثه ووجهه * كلاهما عندي حسن

وقال في امام

جاءني الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت ان وجهي أرض * حين يومي بوجهه للسجود

ابن الرومي واجاد

بي عروضي مليح * موتتي فيه حياة
عاذلاني في هواه * فاعلات فاعلات

في مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

لابن عربي

وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يفدني شكوى الغرام اليه
كيف يصغي لما يقول حبيب * واضع اصبعيه في أذنيه

وقال آخر في مريد

مرادقلبي مريد * مخبأ في الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففي الزوايا خبايا

وفي فقير مليح

بي فقير يغني * بسناوجه منير
لا تلمني في افتضاحي * فغرامي بالفقير

في أمير شكار لابن دانيال

بي من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

في مليح مغن

أضحى يخرلوجهه قرالدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

في مليح عواد

غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

في مليح كاتب

بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

غيره

وراقنا اذا المقدي * فيه تزايد عشقي
فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

وفيه أيضا

ياحسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان اعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه ايضا

فديتك أيها الوراق قابي * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

في مليح صيرفي

ياسائلا عن حالتي ماحال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قد مت من جور الزمان وصرفه

في مليح بخانقي

تسلطن في الملاح بخانقي * ولا يرضى بيدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * واصبح راكبا تحت العصائب

في مليح فراء

قلت لفراء فرى أديمي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فرنومي وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين

حبي المزين وافى * بعد البعاد بمشطه
ومص دمل قلبي * بكأس راح وبطه

في مليح قصاص

اشكو الى الله قصاصا يجرعني * بالهجر والصد انواعا من الغصص
ان تحسن القص يمناه فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

في مليح صياد

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

في مليح رامي بندق

وأهيف القدذي دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

وقال آخر في راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته * ما القصد يامولاي الا العناق

القيراطي في مليح طحان

حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه
خاف من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

القاضي بدر الدين البلقيني في تراب

رب ترّاب مليح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدا لي * ليتني كنت ترابا

وقال آخر في مليح عوّام

يا حسن عوّام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف اذ عاما

ابن نباتة في مليح حبشي

بروحي مشروطا على الخد أسمرا * دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذ كرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد

وزائر قال قلبي * للطرف يا طرف شاهد
مدحته فتجنى * تيها عليّ بزائد

وقال آخر في مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمي محبيه بأسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

لابن أبي حجلة في أعور

ما شان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا اسخفف العالمين بأسرهم * ما ظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر في مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقالت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

القيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

آخر فى مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبى * ويرثى لى وينظر فى بلائى
واشفى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

فى مليح سروجى

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذلى الركوب على السروج

وقال آخر فى مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * انا الذى كنت فى حمائه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابى نواس فى مليح ألثغ

ومهفهف ذى نفس الصبا ذى لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متمرد للابالثاانتحى

وقال فى مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال فى مليح حائك

وحائك ياصاح ابصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الاوروحى لما * عاينت فى كفيه ماسوره

وقال فى مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من احبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وانشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

فى مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فنقسم حقا انه آية الكرسى

الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدّى * وجاء القلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كتابديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال فى مليح سلم عليه

تنبأ فيك قلبى فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الىّ وقيل كلمه الغزال

وقال فى مليح يرمى بالسهام

وظبى بشعر فوق طرف مفوّق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

وقال فى مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه فى فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
يبدا اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال فى مليح مشبب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

وقال فى مليح ساق

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
املكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

وقال ايضا فى رسول مليح اتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
يا طلعة الشمس الذى * جاء الصباح دليله

لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتنى * بـل الفؤاد غليـله

في مليح قارئ

نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فـتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتـلا مليا جـل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر فى مليح مكمل العذار

وكـامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

وقال آخر فى مليح حجام

كلفت بحجام تحكم طرفـه * فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منـه اللحاظ كايلة المشراط

(فصـــــل فى الالغاز)

فى غزال

اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه
فاذا زال ربعـه * زال باقى حروفه

فى كوز فقاع

ومحبوس بـلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقتـه وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

فى زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمـله وهو لها حامـل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

وقال فى طاحون

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مـدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة اذرع * ولا ثلث ثمـن من ذراع ولا أقـرب

فى دواة

ومرضعة اولادها بعـد ذبحهم * لها لبن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

فى دواة أيضا

وما أم بجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاع فى أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مقطوما كما كان تحتمي * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد في طاعة الباري

في مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكي دماء على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جادلي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشر وذا الشرع محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما اختلت مع محبها * يزودها التما وينظرها شزرا

وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

في دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جامد

في خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

في شعر اللعبة

وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

في التين

أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو رضوحا * وهو في التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

في حمزة

من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه اشد تصده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا اهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنبه
تصحيفه في فؤادى دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

في ساقية

وجارية لولا الحوافر ما جرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى امهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها ايضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب *
عليها رجال شنق وابعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

في زر وعروة

وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي اعناقهم ذاك النكاح

في راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها * وفى ساعة يضعان الولد

فى شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بجع

ما طائر فى قلبة * يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر *
عدلنا نا يختشى الرمح باسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها وتبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان استقيتها ماء تموت

فى يد الهاون

قل لى فما شئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبرونى أى شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه فى بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

فى خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكى الملاحة بالطرف

وأولادها فى بطنها فى جماعة * يكونون ألفا ويزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

فى كوززير

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

فى اسم على

اسم الذى أعشقه * أوّله فى ناظره
ان فاتنى أوّله * فان لى فى آخره

فى موسى للصفدى

وما شئ له حد وخد * بكلم من يلامسه بحقه
وكل حاقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

فى حلب لابن الفارض

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

وقال فى سمرقند

وما اسم سداسى اذا ما محته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صاحبى له * على مدد الايام نشر معطر
وفى نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

وقال فى كمون

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

وقال فى قالب الطوب

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة اولحظتين ببطنه

فى العين

وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الجرا طمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما أشرت اليه ونبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى

بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثالها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي * والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

## فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وارحل القلب فيه مذحل

دور

أميل له فلا يميل

يحول وعنه لا أحول

أقول اذا زاد بي النحول

أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المرحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد

ويعمد بهجره لا أفقد

وأجهد لارتصاد من قد

تحمل والحاسدون رحل * محل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج

مدبج عذاره البنفسج

مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجل

دور

برغمي من يستحل ظلمي

ويرمي بجربه لسلمي

وجسمي من التزام سقمي

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وما حل

دور

قلاني واشتط ذا الفلاني
غزاني بطرفه اليماني
تراني أنشد لمن يراني

قد أنحل الجسم أسمر اكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

لابن سناء الملك

كللي ياسحب تيجان الربا بالحلى * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

دور

ياسما فيك وفي الارض نجوم وما
كلما اخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ماتمطل الا بالطلي والدما

فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تنقد كالكوكب الدري للمرتصد
يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد
فانتشد ياساقي الراح بها واعتمد

واملي حتى تراني عنك في معزل * قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم في شرب صهبا وفي عشق ريم
فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يانديم

واجل لي من أكؤس صيرت من فوفل * الذلي من نكهة العنبر والمندل

دور

خذهي واعطني كاسي مثل كاسك هي
واسقني على رضاب القطن الملسن
والهني ببعض ماصيغ من الالسن

لو تلي مدح سناء مع رشا أكحل * لذلي على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت
أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى ياليلة الوصل ولاتنجلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم
فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الا كحل

وله ايضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحت عينى بالسلام
وطيفك قد جفا الجفا المنام
فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أضربه النحول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر ان ظعنهم نزول * بدار لايلم بها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس الحما أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر
أم البها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها بما تباها ولا تلاها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب همو بالمنحنى
فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت ياقلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
لست ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حين ما ينظر جمالك والسنا

دور

يا قمر فوق غصن من نقا * أنحلتنا مطالك والصدود
يا رعى الله لو يلات اللقا * ليتها يا خل يوما لى تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

غيره

نحلت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن

جسمى مقيم على المساكن

وعينى الحب صار ظاعن

مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا

والورد والياسمين خدا

كأنها البدر اذ تبدا

وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا

سحابة كالسحاب ذيلا

فقلت شمس تزور ليلا

وما درى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى

وبت ارعى رياض ورد

وخمر ريق كذوب شهد

لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما

ومن ورود الرضاب أظما

قالت كلت الخدود لثما

ماينتفى منك ذا الغليل * بغير نومى وشيل ساقى

فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

اهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه اضاء الشرق

تدرى بالله مايقول البرق * مابين ثناياه وبينى فرق

وقال ايضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ عاينته تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

عسرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال أيضا

روحى لك يا زائرا فى الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا اسفر بعد ذلك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا و بالهوى ما باحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت * يا رب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا اذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * يا ليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

زجل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا اذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان و يصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قده و قد الاغصان جهار

وذا بدر الكمال قد ظهر في الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق الكم قلنا والخدود راح بنار
أنتم التفاح ومانقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق في الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

دور

حسن حبي الفرار بي فرحه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر ردّ جفني بنار
وجفاني وخد بياض جسمي خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها في كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل اشياف ردّ الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكي الليل شفق احمر يصير
ياترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور داعليه يلع ذاك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكي ياسمين من كساه جلنار

دور

فهو عطار عندو شراب هندي ويراني جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقي فيه شفاه
ورد خدو وحبتو سودا شبه خال في صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار
في المحبه غار واعلى حسنو وكل من حب غار

دور

دوروني الملاح على كمي ونصو نصوص
بلا دعوى التف الف اليسر في هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ما رأوا خلف له همه ولو اصطبار
قروني في عشق هذا القمر والمحبه قمار

دور

لحبيبي ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدودو ورد من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت اهداب غزار
في صفاوجهو انزه طرفي عند خلع العذار

دور

في رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دف وفوف
واعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طارأ على مطار
باختلاف الالحان سحر في الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبي من بين اصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو ان النبات جميعه أقلام والمدد ادا البحار
والخلايق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

دور

خلف استاد في الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون
ما يعيبوا في الفن غير ناقص عقل زايد جنون

شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
بالتضا ومع الصغار مرفوع فوق روس الكبار
واهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار
غيره لناصر الغيطى
كتر وضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار
دور
• كتر وضى نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج
• ولجين الماينكسر ياخليع هيا تعا اتفرج
• بين عنابر تلتقى الخالع كل حد مع الفو يدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين اغصان وماوا طيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل وردها احكت لنا دينار
دور
• وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
• والشجار برلابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
• وكذا الكتان وهو اصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهى يحكى لشماس لابس الزنار
دور
الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق
والهب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وانا مطمن وسط روضا زهرها معطار
فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار
دور
وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور انغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجد وهام
والنخيل بأكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اهيام
والعصافير شيخهم زيق لو طريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنا يشجى فكانو ناى او مزمار
دور
ناصر الغيطى
ياخلايا صبت انسان انكر الصحبة وعادانى

وبغضني حين بقيت معي والاله بالفضل اسمالي
في بلاد قبلي وارض الشام يشكروني سائر اقراني
والشجيع الشاطر المذكور في جميع الارض لو تذكار
والبطل بوقع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

للقباري

جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جا بجور او يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

دور

اقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت احسب قلبي معور ريس غرقو ذا البحار
صحت لما وحلت يامحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

انا يوم في الغبوق بانفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتي الى منظر ماالحسنو نظير
قلت ياعين ان غزالك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شباك عشقو وكرا كي يصيد

دور

من محبو جديد حبيب قلبي يوم صدفتو صدف
قلت لين ياقاسي لمن دمعو سال وسالو وقف
دار وقال لي ماالاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكذب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد
في الحقيقة من لا يكون داود مايلين لو الحديد

دور

لك عوارض في الخدمر قومه ليس لها من مثال
وجفاك صار جاق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وانت دوبيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وانت بيت القصيد

دور

• عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
• حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار
• وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
• في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ماطفي
وانا هو الغباري في العشاق ماجرى لي كفي
حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
• جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
• لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب يا عيسى امسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت في خدو النقي العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت الطرفو قلت يا كسلان
هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني انا نعسان

دور

• بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح نجمو
• قلت لو اقضي بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو
• قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ليش قد اذنب حين قطرتو دا يغلط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال ناديت ليش اصوم يا بدر في شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسباني
ضحك فابيض واتبسم واسوداد شعري وابكاني
وحين اضحيت باصفرار لوني أشعث اغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدمعي طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت في هوا الذقت الهوان الوان

دور

قلت لوحسين عني تخاف لله كن لي يارشيد مهدي
قد نلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي
دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ماعندك نظر بعدي
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان
جرى الماتحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد اعار النور
كسر قلبي كسر جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
ويخمر الدن قد عربد وادعى انى انا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان
صحت ياقلبي صفا وردك انت ما بين النقا والبان

للصفي الحلي

انت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك
ويزيد لك بالدوام كي نعيش في فواضلك
ماينطوي ذكر الكرام لما تنتشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلايق تقول آمين
قد بقينا بك في امان الله يحييك طول السنين

دور

ما رأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك اعم
كل من جا يسالك ليس تقول له سوى نعم
املك انت اوملك ضاعف الله لك النعم
انت في الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
درغيثك في انسجام عم كل السائلين

دور

لا عدمنا كل صوم ذا السرور فيك والهنا
كل ليله وكل يوم نشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دالى قد هواه قلبى صاد وبا ويا
مليح ما رأيت مثله ظا وبا ويا
ما احلاه عندما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد
لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاه ولام وصاد
واصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق باو عين ودال
ما أظلم قط يا ناس من ظا ولام وميم

حل فى الالغاز

المطلع فى العين

وما طير اسكلوا الجبر با كرام * وجوهر حبابه يفسد اهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور فى السراج

وما بحر ما هو ماو فى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شئ صفات حبه بلا وكرا ستفيد * لها جوهره فى فمها يا رفيق
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا ما الظلام * نشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور فى جوزة الكنافة

وماهى التى تركب على ستين الف * وما مثل ذلك فسر لنا يا خبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة اعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

اها الخل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
واكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

دوروفى الغربال

وما هو الذى يا سعدكله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصاوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى اصول الحيا
اذا غاب عن اهله فرد يوم ما يهون * ولا حد يعوض موضعه لو عيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد يحاجه فى المسا والصباح
و يحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى فن تلك الاربعة واحدة

اصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذشاهدت أضواك قد غارت

وقال ايضا

سل مقلتيك الكحال عن سلاسلها * ومر شفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من اسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد اوعدونا الغضا با اننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بحمدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ما تبقى فى اباريقو * اما ترى الصبح قد لاحت اباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سق المدام وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا المن قد وعدنا فى الخفاجيين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ما ظن فى الناس اقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لاطلاها طال لملسر * وصار لما حوى حوا مكلل در

مدام لو طعم كله حلو ما هو مر * ما حل مملوك الاصار مالك حر

غيره حربي

لك يا امام الوغى فى كل موقع حرب * سماع يطرب به السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكف لك لاجل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

وقال ايضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * اخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ما جدت الا وثغرك مبتسم يا زين * وذاك ما جاد الا وهو باكى العين

وقال فى التهنئة

وأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ورأيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * فخن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف عليا حكاره ان يقاطعنى * وصد عنى واقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت آنا المطلق لا يراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع ابو بنتك او ابن امك
وان تكلمت تصفع ناب يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان رمت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

وقال

وقال آخر

يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنو وعن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دائم للعداة قهر * فان والله ما خاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك
لبتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل
فكيف يا مخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع
ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه
وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع
ما فى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال ايضا

صرح بذكر المحبه ما فى المعمى فائده
وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر
أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى
حاشا الذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى
وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى
وفيه عزى وذلى بمهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر
هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شركه

ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لو ردت مثله ما حصل
وهو على معوّد وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى لبرج غيرى ما عرف
كانّنا فى الصحبه جينا على ميعاد
من قبل ما ابصبص له يجى ويدخل مصورى
وانا ارصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

وقال آخر

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى
الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى
وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه
ما اكثر مغابن حبيبى وما اقل وفاه
انا عرفته وحظى وكل ما احسن لو يسى
لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

وله فى الفراقيات

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى
لا أوحش الله منكم فى سائر الاوقات
اوحشتم العين منى وانسكم فى خاطرى
والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق
هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى
اعد بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم
ايش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ماريت ضدّى يقول لى من فرحته
هنا تشق المرائر وتسكب العبرات
لولم اسلى روحى وارض نفسى بالمنى
لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم

اخفض جناح المذله وارفع الاصوات

طول الليالى أساهر كى أريد الكيما

اقطر الدمع منى واصعد الزفرات

ما اطول ليالى جفا كم ساعاتها مثل السنه

وما اقصر ايام وصلى كانها ساعات

مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت

وسيآت الاعادى اتبدلت حسنات

خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم

كذا العبيد تتابع أوامر السادات

اسكت واصبر عنكم و يفعل الله مايشاء

والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات ابوه اراد ان يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات

انا بنى ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور

بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور

من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور

يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور

كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور

يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور

بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور

اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور

قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور

فصرت أحسد من ابصر * خيامهم والخدور

نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وانا عليكم أدور
واصطلى الصد وانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سرحبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المذخور * وفى العطا لاتجور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبى آنس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

ومن ذلك مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
ولابرحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * والطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد

ولا

ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك ننشد * بقولنا والنشيد
ونبعث اوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلالك علينا مديد * مافوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت موقى * كما بوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد
ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولا عدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

ومما قيل فى فن الجاق

أنا ماعبورى الحمام * لجسمى لكى ينظف
الا الدمع جارى * على الما ولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * له احباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقسم أنفه
فأسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزاد بى الهوى والذل
تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

*(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه)* قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى ان نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لايلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لايضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء

فان

فأن الابن بعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك مافعل ابوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها الاولى الالباب مختصرا
صبيـــة ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز وطأها * فما هو الامثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ماعاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت اى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة يكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان افشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك

الشاعر وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى اى الشراب أحب اليك قلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ ولم تقل كفوًا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ماشأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت اى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى يا شعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبستنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه واصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى باخلاقك فبين لى ماتحب فآتيه وماتكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ماأمرك الله تعالى به امامساك بمعروف او تسريح باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده واستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظالى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ومارأيت من حسنة فابثيها ومارأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ماأحب أن يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنوفلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لاأرى منها الاما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجالس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت ابا امية ان المرأة لايرى اسوأ حالا منها فى حالتين قلت وماهما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف

تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي ياشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكي) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من احسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ماأنساك ماذرشارق * وماناح قمرى الحمام المطوق
فلم أرمثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يابنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لاتنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فتى طول عمرى ماأرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه ياأمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له ياأمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها ياعاتكة ألست القائلة

فآليت لاتنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لاتعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين ياعاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وماهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لاأتزوج بعده ابدا انى لاحسبنى أنى لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى اخطب الى احد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا اوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك ياحارث قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فمالك لاتستنزله قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى اليه مافرط قالت تقول له انك لقيتنى وانا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ماطلبت قال فركب فى اثرهما

قال خارجة بن سنان فوالله انا لفي سير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت الحرث وهو ما يكلمني هذا اوس في اثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا قال انقف قال يا حارث اربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لاني في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتيهما فقالت له والله اني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا اخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة قال قد قبلت نكاحها وامر أمها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم امر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند ابي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو والله ان تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد احضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحتسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له اما الآن فنعم فاقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله اعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض اصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن اسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم اتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكرها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي

اصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت اسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما ابغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة تقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * واخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان اعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم احسن مواساة والغرائب انجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من اراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن اراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن اراد ان يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون له * أم من الروم او سوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن اخي اما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت اباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك ان تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها و يقول

ألا بلغوا أم البنين باننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا الايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقرءوا مني السلام وقل له * غنينا واغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة اهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه * مننا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها يزد على ان ركب الفرس واردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان اوّل شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى اعظم وأجل وانت فى عينى اذل واحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى اعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى احسن النساء قال خذها يا امير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك واين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم اصابتها فاقة فأترفها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عجزاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من اجمل الناس وجها وكان هو من اقبح الناس وجها فقال لها يوما انا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت احسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال

دعاني اليه انه ذو قرابة * يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * نوافق عند الاكرمين نوامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن اخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن اخي لو فعل هذا ابليس ببناته اتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن ابي الرقاع كيف علمك بالنساء فقال أنا والله اعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن ينجب ولدك فأغضبها ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنفها في السماء واستها في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها

شديد تدفن الحسنات وتفشى السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ايس فى قلبها عليه رافة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نياحة عند بابها تحكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله اعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه السلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها حمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى اعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل خاتل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شيء قط الا فعلته وقال الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اتقي بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقالوا كتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من اهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا ونخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا

فقالت

فقالت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فاجابها يقول

اناشيخ ولي امرأة عجوز * تراودني على مالايجوز
وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بل قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمني تأتيني بشفيع لا اقدر على رده واتى رجل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من قل جماعه فهو اصح بدنا وانقى جلدا واطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان اطول اعمارا من البغال ولا اقصر اعمارا من العصافير وهي اكثرها سفادا والله تعالى اعلم بالصواب

(الفصل الخامس في الطلاق وماجاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن اخي الاصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا امير المؤمنين بلغني ان رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير اربعة قال يا امير المؤمنين كان متزوجا باربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما اظن هذا الامر قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو ادبتها بغير ذلك لكان اصلح فقال لها وانت ايضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وانت ايضا ايتها المعددة اياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق ايضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الالما بلوه منكم ووجدوه فيكم ابيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال وانت ايتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان اجازني بعلك فاجابه زوجها قد اجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما ارادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضر اني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم اجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا اجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما ماتقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغريان ابن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استظرافه وطرا * وفي الليالي وفي ايامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فانشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتي * بموت من خليلك او فراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا اشعب فقال ياسيدتي ارسلني اليك الوليد برسالة ثم انشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا اعتقك او تبلغ اليه ما اقول لك قال ياسيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فأخذه والقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

اتبكي على سعدى وانت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما انت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر مني احدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان اطرحك من هذا القصر واما ان القيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير اشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

فأصبحت الغداة الوم نفسي * بامر ليس لي فيه اختيار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين اخرجه الضرار

ولو اني ملكت بها يميني * لكان على للقدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان ابوه امره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فني صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع

فاصبحت الغداة الوم نفسي * على امر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كانها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاي غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ارى فقال يامولاي ان صداقها

على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان اعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وانشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلالك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)*

قد انزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى ان شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فاخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
ايوعدني ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
ايعجز ان يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
الا من مبلغ الرحمن عني * باني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم اول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع امية بن ابي الصلت الثقفي فضربه على عينه فاصبحت عين امية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال انت ضاربها بالامس فقال او بلغ مني الشراب ما ابلغ معه الى هذا الا شربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا اذوقها بعد اليوم ابدا وممن حرمها في الجاهلية ايضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته اولاخته فهربت منه فلما اصبح سأل عنها فقيل له او ما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها في الجاهلية ايضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر

ويقول والله لا ابرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما اصبح وفاق قال مالي هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا اشربها ابدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال اكره ان اصبح سيد قومي وامسي سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا امير المؤمنين جلدي اسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني ذلك الا عقلي وانا اكره ان يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا امير المؤمنين لا خلاف لما امرت ولكن انا امنع اهل عملي منه واكره ان امنعهم عن شيء ولا امتنع منه وقد قال الله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما انت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم لجرولك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم اقل عن جهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائي

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال المهدي

دع الخمر فالراحات في ترك راحها * وفي كاسها للمرء كسوة عار
وكم البست نفس الفتى بعد نورها * بمدارع قار في مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني

جعلت فداك انما هي خمر قال ومن اين علمت انها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني يا احمق نحن اصحاب الحديث نضعف مثل سفيان ابن عيينة ويزيد بن هرون افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الالضعف الاسناد ومن المجون في ذلك ما حكي ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا ايضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حول رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومن عقال الناس ان مرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه ابنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة ايام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلي عقالي
قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين

---

## *(الباب الخامس والسبعون في المزح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)*

---

*(الفصل الاول في النهي عن المزاح)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة الامج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروأة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي امي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت امالك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا واين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروأة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتمادحون و يتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حاليقهم كانهم لم يعرفوا احدا

*(الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم)* لا باس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال مالي

اراك لاهيا كانك آمن فقال له عيسى مالى اراك عابسا كانك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان احبكما الى احسنكما ظنا بى وروى ان احبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجارية خلق الله خالق الخير وخالقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا باس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال عليه السلام لا احملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا واتته ايضا عجوز انصارية فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال لها يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المراة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها اما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وانا العب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من اولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى ابول فاخذ بيده حتى اتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر ان اضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا ابا المنذر هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى واخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس امير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا اعرفه فوقع فى قلبى ان اتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت انى لا اشتغل به أبدا فضحك

الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتوني بها تكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا امير المؤمنين الطلاق يلزمه ما اكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا امير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

الا ان ليلى العامرية اصبحت * على العبد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى اخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه واعجبه هذا البسط وروى ان ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

انبئت ان فتاة كنت اخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) اما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون وكان ابو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات واما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت العب بالشطرنج مع صديق في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للمامون

ارض مربعة حمراء من ادم * ما بين سربين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير ان يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذا على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان في كورة او مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت احمر واصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء في لعب الغلمان) ما حكي ان غلمانا من اهل البصرة خرجوا يلعبون بالصوالجة واسقف البحرين

قاعد فوقعت الاكرة على صدره فاخذها فجعلوا يطلبونه منه فابى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الارددته اغلينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان اطفال الاصغار اشتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا واهدر دم الاسقف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)*

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال اتدرى من انا قال لا قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة اخرى فشرب فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم احاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال اخرج عتيقا وادخل جديدا واقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابددن شمله بالاسفار وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى اتى على قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا الاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان اطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا اخا العرب اظن ان طنبا من اطنابك قد انقطع (ورؤى اعرابى) يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء اقضيها فى الصيف وسرق اعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل اتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر اعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا ابا امامة اتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال ابول وارجع انام وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعى

قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ اما تستحي تقطع الصلاة وانت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فمالي ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاي لاتقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب في وجه صيفتي
وان انا لم افعل فانت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي اورحمنا فقال الاعرابي اهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا اختاه مازال لامام يأمرهم ان ينكحونا حتى خشيت ان يقعوا على وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام المنهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ماالمطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام اهلك الاولين والآخرين واراد ان يهلكني في الجملة والله لارأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ماخلا الانسان في بيت غائط * تراخت بلاشك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما رأى ذلك عليه تعلم نبح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك واخفى امره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك

الملك فى انه كاب فقال انظروا ماهـذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق ثم نهق الحمير فضحى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه واخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووبخ فى عطيته السبايا
أمالى مال ردفك من زكاة * فقد دخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام وقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وارحنا وارح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يافقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما اعجبك من حديثنا قال ثلاثة احاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه ايضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد امرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل ادلك على دواء لعينيك قال ما احوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فالحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك اجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن اصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من اين والى اين قال اتيت من ارض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم املت منه قال الف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا اقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال

أدخل قوائم حماري في حرامه وارجع الى اهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي اتى بك اخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاء في غير اوانه فقال كم املت فينا قال الف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى ان قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال ياسيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

*(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء)* عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان ابن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم في اى سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك في ادنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم اعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى ابي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال انا عالم به فقيل له هذه الآية في اى سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت واتيت اهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فاكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت اهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل افسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض اصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

*(الفصل الثالث في نوادر القضاة)* كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فقال يا غلام اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق

فما تت فامر الغلام باحضار المشاعلية ايهم لوها الظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم اجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الامن مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله اشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم واجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى المثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصباح وثمن الاصلاح وماتر وحوامن هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقها للبيطار قال فتقدم احدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولاتدعنا نروح بلاش تفسيرهذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل ان يخرج من باب البلد كانوا شركاه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه وولى يحيى بن اكثم قاضيا على اهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه ابو يوسف القاضى فقال يا امير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه ابو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا امير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم امر بعزله فعزل واحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فانكر ولده ذلك فقال ابوه يا سيدى افتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق * لاأرى فيه ارتيابا

فقال ابوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وانا الآخر احفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قدرأى الهجرعذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم احدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى ابن صمصامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعى الك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال اتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى ابى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج ايهما اطيب فقال ابو يوسف انا لا احكم على غائب فامر الرشيد

باحضارهما

باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف بجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدي ان امرأتي قحبا انا فقال له القاضي طلقها انا فقال عشقانا فقال قودها انا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسنا بدين بجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد دقويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كاني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكي) ان تاجرا اعبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول اشهدان لا اله الا الله وان اهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد اقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي واخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل اما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صبيا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت واما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها واما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع واما الغلام الذي رأيته فان اباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي انه بلغ فانا امتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف انه لا يعود اليها ابدا

*(الفصل الرابع في نوادر النحاة)* وقف نحوي على بياع يبيع ارزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالاعسل والاخل بالابقل فقال بالاصفع في الاروس والاضرط في الاذقن ووقع نحوي في كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي ام لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشد في شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان اخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه اولاده وقالوا له ندعو لك فلانا

انا انا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه ان لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا ابت والله ما شغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فاهرس واعدس واسفبذج وسكبج وطهيج وافرج ودجج وابصل وامضر ولوزج وافلوذج فصاح ابوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت اباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وادخله الله في نظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية

*(الفصل الخامس في نوادر المعلمين)* قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الي الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (وحكى) الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال لها اما أن تنتهي والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها امام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان اراهم فقال ما اشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض اذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ انه قال الفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب

قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد فقلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وماهو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه اول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال اتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ٭ ردّي على فؤادي اينما كانا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به ٭ فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه مافي الدنيا احسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو ٭ فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت ياهذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابقائه وأول ماأبدأ أبدأ بك ان شاء الله

٭ (الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ٭ ادعى رجل النبوّة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فاي شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون واجازه وتنبأ رجل في ايام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى

وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده فى جيبه فاخرجها بيضاء قال وهذه على اصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وماهى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم واحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون اريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ان لا تعود واتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل اوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

*(الفصل السابع فى نوادر السؤال)* وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل ان يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر الى حتى أدعوك الى وليمة وقال ابو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا

نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم احق مني بالسؤال

(الفصل الثامن في نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني اسمع صوتي من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال احب أن أسمع أذاني أين بلغ واختصم رجلان في جارية فاودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعلوا في أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن رديء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع في نوادر النواتية) حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكرامي السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني اسمع غاغة في البر حلي قلوعي واعملي اسفيرتي على جاموري وقدمي الي اسقالة الرجل وقميني بدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الجبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعال ياشيخ مالي أرى أرطمونك في حلقك وشابورتك مكسورة وانت بتزلع ماء متغير وتقيم الهليلا في الساحل دخل عليك شردغربي والا دخلت على بوابجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمو بخنسواعدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك في بدراوة وعلقتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من اولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوندهو كارزني في معاشي احصطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الاوشردجاني من الشرق كابس هزأطرافي وكسر شابورتي وقطع لباني وها هو بحمد الله على برالسلامة وان كان انصلح فيه شيء فانا بعرسوم الامير اجيب له القلفاط أسد قصه واعيد له وسقه واخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقذف في وجهي وتطرح مقاديفك حتى نعبر على الجبر يارجالة الصاري سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلواشينة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب المية على بطونستة هيا قوامك خلوا

جنب برا وجنب بحرا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية يا خوند هو خففت عليه الطمية البحرية قال مدرا تين وقموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال يا خوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بجر اللبان فى الخلاقى وأنت حافى فى الصيالى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا شقا التك واقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم افطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبين بعض المغفلين نصف دار وبين رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل وما قد عوات على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الان اما هاذ كرت انها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى اى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك اصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له

ابن

ابن المغازلي فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتني الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلي فقال له اجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي فقال له بل اجعل لي النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لي ولك الثلثان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتني اعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكني اضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل افعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط علي شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط علي أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)*

(الفصل الاول في الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته وأما أن يدخر له ثوابها واما ان يكف عنه من السوء مثلها وروى انه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا الملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول

ماهذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بان لا قادر الا الله وان الوسايط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وان يكون متجنبا لاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام مالم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء ان يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وان يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله ابصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل احدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن ان يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة

وذلك وقت السحر ووقت الفطر ومابين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء ومابين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر مانزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فاعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة ياعبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا افشيت سرك فأفشه الى فانى وفى واذا أقرضت فاقرضنى فانى ملى واذا دعوت فادعنى فانى حفى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله وقال وهب بن منبه بلغنى ان موسى مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يارب اما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء مااستجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام ومر ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا ياأبا اسحق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته اوصله الى جنته ومن اخلص لله فى دعوته منّ الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله عنه يرفعه لاتعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وماجاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم انى اسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك اذل وعليك ادل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها

بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من الترك ان ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسئلك ما يطلبون منك بعادعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركاني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حدثت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن ادهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وايقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال اريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني اصف ربي وأمجده الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن ان تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر ابن عبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شئ به ارحمه وقال طاوس بينما انا في الحجرات ليلة اذ دخل علي علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لا سمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها في كرب الا فرج عني ودعا أعرابي فقال اللهم انا بابات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت اسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا اعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان

رزق في السماء فانزله وان كان في الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لي فيه

وقال ابو نواس

احببت من شعر بشار وكلته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلي في منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يامن لايشغله سمع عن سمع ولاتغلطه المسائل ولايبرمه الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مل‌ء السموات والارض من الذنوب لغفرلك ومن دعائه رضي الله عنه اللهم صن وجهي باليسار ولاتبذل جاهي بالاقتار فأسترزق طالبي رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلي بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الاوجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يامحمد اللهم انى اعوذبك من الكفر والفقر والفاقة وهي من مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يايعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يادائم المعروف ردّ علي ابني فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لانشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه باحق بالدعاء من المعافى الذي لايأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما احاط به علمك في الدنيا والآخرة واعوذبك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يارسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى اسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت اذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من اصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو ياعلي ياعظيم ياحليم ياعليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول ياأرحم الراحمين

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن
على بن ابى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يرينى الاسم الاعظم الذى
اذا دعى به أجاب فقمت اسله أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء
وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب
ما روى عن وهب ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء
تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم انى اسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين
فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك
بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن
عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط
الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل
وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والاخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى
تهنينى المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول
فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود اخزاهم الله
على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى
أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم
الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها ان تكشف عنى ضر
ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله
لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا
روايته معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه
قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيت بخيلى
ورجلى فاذا هو جالس على باب داره ماد رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء
فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة
الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله
والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر
بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال
نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله
فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان
ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى
هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت فى الحياة فقال الحجاج
خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف

نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله
عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير
الاسماء باسم الله الذى لايضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله
الذى لايضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى
ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله
أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك
وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد
ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم
* وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك
دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك
وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل
شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد
غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ
قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى ان
أسألك ما لا أستوجبه منك مما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا الاخائفا ولا وجلا لانك
أنت المحسن الى وأنا المسىء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض
اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن
الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن
تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا
تكلنى الى نفسى طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين
* وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك
من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فايما عبد من عبادك اوأمة من امائك كانت له قبلى مظلمة
ظلمتها اياه فى مال أو بدن اوعرض علمتها اولم اعلمها ولم استطع أن اتحللها فاسألك أن ترضيه عنى
بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب
ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لاشئ واسألك يارب ان تكرمنى
برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام
وقال صالح المرى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى اسألك
باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فادعوت بها فى
شئ الا تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن
الرحيم اللهم انى اسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور
الذى لا يطفا وبالوجه الذى لا يبلى وبالديمومية التى لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية

التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بأنك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن سباع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبى محمد بن الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا انا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى يا هذا انسى أنت أم جنى فقلت بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفى كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفى فى نفسه واهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه واعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهى ان تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسى الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذى الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وانه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البونى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد واحدا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد افلج فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور ولا ينكرها الاغبى اوغيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم اول البقرة الى آخر الآيات وقال ابو العباس احمد القسطلانى سمعت الشيخ اباعبد الله القرشى يقول سمعت ابا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لاهلى وعملت اعمالا ادخرتها لنفسى وكان

اذ ذاك بيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي في النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت مابه من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي أن قال ياعم هذه أمي اخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه انه كان يقول لولده يابني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجي موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ماهو فيه الا أنت ياأرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لايدعو به مبتلي الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحي ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وان تعطيني كذا وكذا انك على كل شيء قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهي هذه

اني لأرجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذا لم متى

لا بد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعمر ما كان خوى

وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى

وكل شيء ينتهي الى مدى * والشيء يرجى كشفه اذا انتهى

لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى

كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى

من لاذ بالله نجا فمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا

سبحان من يعفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا الذي اخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب اوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

يا خالق الخلق يا رب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا تخذ بيدي * يا جاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت ايوب من بلواه حين دعا * بصبر ايوب يا ذا اللطف نجيني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يا رب ما زال لطف منك يشملني * وقد تجدد بي ما انت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه امر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
انت الرقيب على العبا * د وانت في الملكوت واحد
انت المعز لمن اطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوائد
فخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئسـ * ـت من الاقارب والاباعد

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ما خر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أوالى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

وعما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا اخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلك الله ولا أسلك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلك الله من الشاردات والواردات وسلك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(وعما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لا ترك الله له شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثت أحوالك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها

ونادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب

وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن ارادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وانت بالحال أعلم الهى ماعصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا للعذابك ولكن سولتها نفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا واطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك اشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله واصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)*

اعلم ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب ايضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور فليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض امره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه له فيه وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم واسترق وامر بالرقية وتداوى وامر بالمداواة وقال الذى انزل الداء انزل الدواء فان قيل قد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فهو برئ من التوكل قلنا اليس قد قال اعقلها

توكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى اوا كتوى متكلا على الرقية او الكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد امرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون وحمل الرطب اليها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن يجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما ارجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا اعجبا فقالوا ان اعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزل الا بنعمة الى ان هلك ذلك الرجل فلبثا بعده اياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد يدور به ويرشده الى الطريق واهل القرية يتصدقون عليهما فنجح امرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر ارضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالى اما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى ام أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله ابن الفرج اطلعت على ابراهيم بن ادهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل ابى قبيس فقال لو ان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم اعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى ان يقترض الف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى ان اسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما اعطيك مالى الا ان تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على ان لا اغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد

السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها ايام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك واخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى ان جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد اوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجد لك او احدا من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد اسندت الى ولم أرلها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى انه رأى طيرا اعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان اوحد اهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد كانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من احد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم واقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون اجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروأة اعملها ولا أؤاخذه بفضله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت احسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية نجاه وجلس مكانه فبقى الصانع يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيأ فلما مضت الايام قلائل واذا الملك اختار ان يعمل زوجين اساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه واكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل وجاء الى الصانع واخبره بما قال

الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي

خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي

فلا برزقي أحظى * ولا بصنعة كفي

كم جاهل في الثريا * وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خطر لخاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فاخذهما البعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سالم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم

تجري المقادير التي قدرت * وانف من لا يرتضي راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروى في الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه

قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر فقال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه ورغـــــرد حادياها
وقال أخاف عادية الليالي * عـلى نفسي وان الق رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فمازال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
لاتك خيرا ان بقيـ * ـت ولاعداني الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

## *(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)*

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى

بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى أحمد ابن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل العبد ما لم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال ارجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سال عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك و بين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من

أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يارسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل اتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما داؤكم فالذنوب وكان علي رضي الله عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني اسالك واستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ماوعدتك من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لاهو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي أشهدكم ياملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة لم تكتبوها ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها *(نكتة)* قيل انقطع الغيث عن

بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك لاولئك ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا ياأرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أعصى فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى برا وامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وابعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

*(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول)*

*(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب)* روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون ان تكونوا كالحمير الصوالة الا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن انس

رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لايجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه اما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل افلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى امرضنى

*(الفصل الثانى من هذا الباب)* فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة* قيل تسارر ابخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فساله رجل فقال والله لا ادرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت اميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر ابو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان ابو الاسود ابخر فستر سليمان انفه بكمه فعبر ابو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس افواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينها طيب الفم وليس فى البهائم اطيب افواها من الظباء (وحكى) ان ابخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وولت عنه بوجهها ثم انشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * اهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا * من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * الى اراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورايت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريدا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا اقطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب اما سمعتم قول سهل حيث قال

ايشتمنى زيد بان كنت ابرصا * وكل كريم لا ابالك ابرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذا الصمم عى ولا من جهالة * ولكنه ما فى للصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

ومما جاء فى العمى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى اربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال ابو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى ودفترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك ايها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم انشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان ابان بن عثمان كان

افلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوقف وعبد الملك بن مروان ابخر وحسان اعمى وابن سيرين اصم وممن فلج ابن ابى دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

انضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن ابى داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى امية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه اثر فى جبهته قال اصبغ الله اكبر هذا اشج بنى امية يملا الارض عدلا وقال اعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال اما الشئ فالبصير كانا واما لا شئ فالاعمى واما نصف الشئ فانت يا اعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

*(الفصل الثالث من هذا الباب)* فى التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى انزل الداء انزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يرد ان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى اراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وانشد

فاصبحت لا ادعو طبيبا لطبه * ولكننى ادعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

ياطالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى ابلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالح عليه اهله وقالوا لابد ان ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه اوحد اهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فأسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا ومن اعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك اسلم الطبيب وصار من اهل الجنة وفلج الربيع بن خيثم

فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين تمكنت العلة أما تعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما يميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله وقيل ايضا

فكم اكلة أكلت نفس حر * وكم اكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام اثمره الاسقام وعن بعض اهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا اصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر اهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله

تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفي الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ام مغيث وهي وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه امان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو ان فوجد غالب اهل المسجد يشكو من السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالعسل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر في عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها يدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام و يقول كل دواء يا نبي الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الاذنين والقولنج في البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق البسل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الجسم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن اكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته أو في النجوم فانت هرمس في صناعته أو في الفقه فانت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في علمه أو في السخاء فانت حاتم في كرمه او في الحديث فانت أبو ذر في صدق لهجته او في الوفاء فانت السموأل ابن عادياء في وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج ومرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهي قارورتك لانه ماء ميت وانت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فاحضر الطبيب فامره ان يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغني صداعك فضعها على رأسك يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شيء ثم انه احضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال علي رضي الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار

فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم او شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لاتنكح الافتاة ولاتأكل من اللحم الافتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولاتدخلن بطنك طعاما حتى تستمرى مافيه ولاتأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية وعده انه اذا لازمها لايمرض الامرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولاتمش حتى تعيا ولاتجامع عجوزا ولاتدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولاتأكل الفاكهة الاقى اوان نضجها ولاتأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فيهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولاتنم على يمينك فيبطئ الهضم ولاتأكل بشم وتعينك بعد الشبع ولاتنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس نشره
مامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الارأى مايكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

*(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فقههم أن لايسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعواله وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة *ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كل ما * شكوت الى اليوم من الم الورد
فيكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

وقال آخر

بى السوء والمكروه لابك كلما * أرادك كنا بيوكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضي الله عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست ابالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

وقال علي بن الجهم

أأرقد الليل مسروراً وأعدمت اذا * عيشي واحمد برئ أيله وصبا

الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

اعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم او يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهي الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثاني قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن عليلا في مسائلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

## الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به من القبر واحواله

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا اله في قبره وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية علي رضي الله عنه لابي ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ويقال جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله اهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصي رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها فقال له اعائداً أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتني رهقا ولا اصعدتني زلقا ولا جرعتني علقا فلم استطل حياتك ولم استبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل في الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لي فراشا واسندوني واوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندي احدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده انشد يقول

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر ابو العباس الشيباني قال وفد على ابي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فاقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي اصيب بها ثم افاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثني ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان اول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب واجحفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا عدمك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي واجلسني ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع و وضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت حجة لي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا اكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه و بكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري الى أين اهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم استعد بعد فقال يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال اما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام و في الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري

من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على اهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وانت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور في مهل
ترجو الحياة صحيحا ربما كنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش لجلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما احتضر عمرو بن العاص) دعا بغل وقيد وقال البسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ واعلها تنفعه (ولما احتضر المعتصم) جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود وسمع ابو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل الله م كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل) عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكي) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال اعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني ان تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميه الاطباء النهشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان

الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه اما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحببني فقال ويحك ان الحب ليس هو شئ يصنع انما هو شئ يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا احبك قال نعم أنا أحبك قال فخم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن اسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى ما لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق وقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حك لرأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما اراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا اني اشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما احتضر عبد الملك بن مروان) قال لابنه الوليد اذا انا مت اياك أن تجلس

وتعصر عينيك كالمرآة او كعاء الكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غيره هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريدنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة امره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

## الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول

* (الفصل الاول في الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا احدث الله له مثله واعطاه مثل اجره ذلك يوم اصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن اعطي القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه

راجعون

راجعون اللهم أوجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروي انه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك ياابراهيم لمحزونون ولا نقول الا مايرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يابنتاه قولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب ادخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لودعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها وبحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية ياعبد العزيز اتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبي ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعدما دفن ابوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان

كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك * ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجاءة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى اليك من وحشة ومابى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ماجعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى واكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ماقصر فيه من حقى فاغفر له ماقصر فيه من حقك فانك اولى بالجود والكرم فلما اراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

*(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى)* روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن يعزى اخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر مايسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر

والتقوى وهي من أحسن مايستدل به في التعزية وثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من اصحاب الشافعي رضي الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة واما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب اصحاب الشافعي ان يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم الله اجرك واحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر اعظم الله اجرك واحسن عزاءك وفي الكافر بالكافر اخلف الله عليك ولا نقص لك عدد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض اصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان احب اليك ان تمتع به عمرك اولا تاتي غدا بابا من ابواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة احب الي من التمتع به في دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رحمهما الله ان الشافعي قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول ياأخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر الهمك الله عند المصائب صبرا واجزل لنا ولك بالصبر اجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لي ابن فمر بي مجوسي وقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل انه قال مات لي ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا واولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان أبا بكر رضي الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعي رضي الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزي ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت ياأخي اعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها

لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لادافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت اخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
اما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه مما صنع بالاخ والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وانت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة السا كبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان الحزن اذا لم يعالج بالصبر كانت كالمخ اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فعول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما ان متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على ان أخاطب مولاى معزيا وا كاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الا كرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر واجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن افاتحه معزيا واخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء اوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة واعظم اجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن ابيه فلم يجده كما احب فقال يا بنى سوء الخلف اضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله اجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جالى الله عن ميتكم الثرى واعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولاهن شهادة ان لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا امير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء افضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت

عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى اربه ثم أقبل عليهم وقال لولا انزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعد هذا * وكتب الاسكندر الى امه قبل وفاته يقال اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدى لهم طعاما و كلي بالابواب من يمنع من اصابته مصيبة في ام او اب او اخ أو أخت او ولد ففعلت فلم يدخل اليها احد فعلمت ان الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على امه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا احزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط احسن منه ولا اجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام ابوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه والقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان اوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح * (ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف) * قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء اصبح في الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا ردّها لكا * على احد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن افول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا امير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين اجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

اليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تهلكي يا نفس مما تريته * فكل امور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيم اصخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

وقالوا لها لماذا اختصت الشمس دون القمر والكواكب فقالت لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على اعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وازور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي * على اموائهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل اخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

وقال آخر

وهوّن وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي انا صاحبه

وقال

ومما يؤديني الى الصبر والعزا * ترددفكري في عموم المصائب

*(الفصل الثالث في المراثي)* لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من اصحابه وآله بمراث كثيرة منها ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو اول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور

فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

وقال

فقدت ارضنا هنالك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا

خلقا عالما ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا

وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا

حازما عازما حليما كريما * عائذا بالنوال برا تقيا

ان يوما أتى عليك ليوم * كوّرت شمسه وكان خليا

فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل اخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكاء وذاك فيما * اصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

واضحت ارضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه * نفوس الناس او كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه ومايقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات ابو بكر الصديق رضى الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين احبهم * فعليك يادنيا السلام
لاتذكرن العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سالت الندى والجود مالى اراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال آخر

ولا ارتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

وفى المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا ان اروعا
فما اتقى للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت ادرى مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك مافاضت دموعى فان تفض * فحسبك منى ماتكن الجوانح
وماأنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس اننى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * اجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال آخر يرثى صديقه

خليلى ما ازداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فدت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذه بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثى بعض أولاده

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية تجرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء اخبرينى بافضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه و بنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وامى وجهك المقبور
وارى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * فى كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع اذرع في خمسة * في جوفها جبل اشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزن ابي الحسين جديدا
أيسرني عيد ولم أر وجهه * فيه الابعد الذلك عيدا
فارقته وبقيت اخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبيت مكلوأبها مرصودا
منى باوجع اذ رأيت نوائحا * لابي الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لي * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لي الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا اتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما قدركني بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت أني لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقي الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا بالخلا بدموعه * فعليك جفني لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسي الانام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كام موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفي

يا غائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا

ان كنت جزعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابناله

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا

شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا

وماعجبى الالمن بات واثقا * بأيام دهر ما وعى حتى يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقاله توفى وكان من الكرماء

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فياقبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا

وياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عاش فى معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم اجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت ابكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم اصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فابكتنى ديار عشيرتى * على رزئهن الباكيات الحواسر

غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر

ولوان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان ابوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيئا الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## *(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)*

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبتغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهي اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هي صائرة عظاما رميما وهذه العذرات الوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها في الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد اثر الشريط في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وانت رسول الله

وقد اثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم اخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما اربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه اربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد اخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى يا على اربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق اجمعين فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
انت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا واصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجيء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما احسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما انعم الله على عبده * بنعمة اوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما احسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين الم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * ان المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل اصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما احسن ما قال عبد الله بن طاهر

اليس الى ذا صار آخر امرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبي يانفس مما ترينه * فكل امور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن اسد

يامن تملك ملكا لابقاء له * حملت نفسك آثاما واوزارا

هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم

وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

ابن آدم اين الاولون والآخرون اين نوح شيخ المرسلين اين ادريس رفيع رب العالمين اين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين اين عيسى روح الله وكلمته راس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار اين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان اين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب اين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا اين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد اين اصحاب الوزراء والقواد اين اصحاب السطوة والاعوان اين اصحاب الامرة والسلطان اين اصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات اين الذين قادوا الجيوش والعساكر اين الذين عمروا القصور والدساكر اين الذين اعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف اين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف اين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا اين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا اين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من احدا وتسمع لهم ركزا افناهم الله مفنى الامم وابادهم مبيد الرمم واخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا الاترى الامساكنهم لم تنفعهم ماجمعوا ولا اغنى عنهم ماكسبوا اسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لونطقوا الانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد

كانى لم اكن لهمو حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد

فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا الانفر فهاير ول ولا غنى فيما لايبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لي * أموالهم ونوالهم عندي

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظني وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة اكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج اكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروي ان ابا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابي نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لي بنصف شعري * وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا ونقصها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد في الدنيا زهد في ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء امرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبي من ملوك خراسان وكان قد حبب الي الصيد فبينما انا راكب فرسي وكلبي معي اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسي نحوه فسمعت نداء من ورائي يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم ار أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت النداء من قربوس سرجي يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا فتوجهت الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم أزل ارض تقلني وارض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها اياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورة فعملت بها اياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت في البستان اياما كثيرة فاذا خادم له قد اقبل ومعه اصحابه ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه واطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيأ ولا اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن ادهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما بحرس كرما اذ مر به جندي فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما

عصى الله يا سيدي الجندي فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملق على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي فباذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا واجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يانبي الله انى لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولامال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ماتخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا انا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتني واياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان سهلا ثم انس الي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فاني لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول

ياخل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما ترانى ثم انشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة اونار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن اقام عليه منه اسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه اصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى ابيات جليلة وموعظة عظيمة جليلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من اعالى عز معقلهم * فأسكنوا حفرة يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سا لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فابطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الارغيفين فقال له اين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الارغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى اتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وا كلا منه فقال له عيسى بالذى اراك هذه الآية من اكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاآ قرية فدعا عيسى ربه ان ينطق لهمن يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوزا النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء نقتله ونقسم المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا

وآخذ المال لنفسي فوضع السم في الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبا بن نواس خدمت عيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور احبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلونني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك هزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلي ولم استطع ان افتدى به من الموت اذ نزل بي ويروى في الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بيناهو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في ان تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبي الله انا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وزوجت الف ولد وافتضضت الف بكر وهزمت الف جيش وفتحت الف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت اركانه وبادت اهله واظلمت نواحيه هذه الابيات

هذي منازل اقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

وقال في المعنى

يا الله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا في جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

ايها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكي) ان رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذني خزاف وعملني انا فخاسا ستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذني طواب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى ان ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا هوما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شيء رأيته اني مررت بمدينة لم أر على وجه

الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا اجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اسأله ثم اتيت راعيا فسألته اين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا المكان هكذا منذ كان فهذا اعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل اهلها * عن حالها مترحما ومشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم

ايها الربع الذى قد دثرا * كان عينا ثم اضحى أثرا
اين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه السلام اوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكاس من عسل وفى اسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى اسفله الموت او كحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر باد أهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا الا وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى اصحابه وقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله اعلم

---

## الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر اربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

---

(الحديث الاول) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة امر الله حافظيه ان لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة ايام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلى على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها الفا ومن صلى على الفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك

ببشارة لم آت بها احد قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من امتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل ان يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في صباح عشرا محيت منه ذنوب اربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل احدكم على اخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة

(الحديث الحادي عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم مني مجلسا اكثركم علي صلاة

(الحديث الثاني عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي الف مرة بشر بالجنة قبل موته

(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك احد الا ويصلي عليه سبعون الفا من الملائكة

(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد

(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة علي نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي علي

(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة علي قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة

(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بايديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة علي وعلى اهل بيتي

(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا جاء يوم القيامة بحسنات اهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة علي ردت عليه ولم تقبل منه

(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة

(الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب

(الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في

الارض يبلغونى الصلاة على من امتى فأستغفر لهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علىّ كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فانا برئ منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطؤن الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادى سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا اعطاه اسماء الخلائق كلها فلا يصلى علىّ احد الى يوم القيامة الا يبلغنى اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك اقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبى الامى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا امره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا اليه حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه اجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علىّ واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علىّ فان صلاتكم علىّ زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى ان النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا عنا ما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يصلي علي الارد الله علي روحي حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطي أمله واعين على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله احدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكره هنالك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فانزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما أنزل على رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها

هو

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من
هو رسوله الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد
وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بني اسرائيل
يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة احمد فناداه سبحانه
وتعالى باسمه محمد ولا احمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال
يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا
بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن
ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك
ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه اي
يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمي رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال انا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا اي يهتدى
به كما يهتدى بالسراج في ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل
قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى
وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا
السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدي حتى يقتبس منه والسراج اذا كان في
بلد يملأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل
ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال
أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله عنهم
أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود
واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها
حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين
وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح
ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أحمى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف
ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات اقلام وجميع الخلق تكتب
معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر اليزر من معجزاته صلى الله
عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا في زمرته وأمتنا
على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا تحرمنا شفاعته برحمتك
يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الامي عدد ما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره
الغافلون

تم

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

يقول المتشوف الى نشق نسمات الاسعاف من مهاب الالطاف الواجد القلب الى وجدان الارواح العرفانيه عبده المذنب طه ابن الشيخ محمود قطريه المصحح بدار الطبع الجليل هداه الله الى سواء السبيل واقام بتوفيقه أوده وهيأ له من أمره رشده * لما بعد حمد من تفننت فى حمده سواجع الالسنه على افانين فنون الآداب المستحسنه وتعانقت غصون الجوارح بشكره فى رياض وحدانيته تعانق الالف واللام فى تفرده بعبوديته والصلاة والسلام على من كسى البرد ممن قرط آذان البلاغة بمدحه وشنف سيدنا محمد مصدر جوامع الكلم التالد منها والمستطرف وعلى آله الذين فوفوا بالرقائق برد البيان وحبره واصحابه نجوم التبيان الثواقب منه درره فلما كان كتاب المستطرف الذى التقطت بمؤلفه من انوار كل فن مستطرف انفسح به مجال الفضل فى ميدان الادب ووفدت الى شعوب افتنانه وفود الاذكياء تنسل من كل حدب فما أنفق ذو السعة الامنه وما كان ضيق العطن أحوج الا اليه فلا غنى بالرجلين عنه مست الحاجة الى مكرر طبعه برابعه فاعيدت وكانت احلى الثلاث وأضوء للناظر من الشمس فى الرابعه ولما شيمت بارقة تمام طبعه انبعاث الجذل فى اطرائه على حسب ميسوره ووسعه فقال

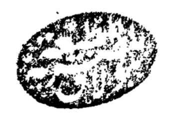
حدث حديث فؤادى المتشوف * أبدا وقل هو ذلك الخل الوفى
واذكر وقوفى بالديار رسق الحيا * تلك الديار بدمعه المستوكف
وانقل غروب الصبر عن وطن الحشا * وعزوب نوم عن عيونى منتفى
وامثل تجاه مسارح الغزلان اذ * ترنو واثر رنو اعينها اقتف
فهناك مصرع كل قلب يصطلى * نار الغضى ويود أن لا تنطفى
قلب تزاحمت القلوب لعذره * وهو الهوى العذرى ليس بمختفى
حتام يصبر عن مناه وكم له * وله بطاعتها وبالمتخلف
لذ القديم له ولم يك فى الهوى * بدعا تراه بنى ولم يستأنف
ياقلب حسبك من تليد الهوان * رمت النصيحة واله بالمستطرف
سفر حوى طرف البيان وجاءنا * من كل فن يانع مستطرف
تهوى به السحر الحلال ونفثه * فى عقدة الالباب دون تخوف
أحبب به السفر الذى هو مسفر * عما خفى كم حاز من لطف خفى
خذ منه من عمل ومن علم ومن * حكم ومما تشتهيه وتشتفى
لماحلا رشفا تكرر طبعه * والذوق يحوم من له لم يرشف
من كان همته بمجرد حمله * فأنا الذى بشرائه لا أكتفى
سحف الزمان وعنه أقعد معدما * كفؤا ابكر حديثه لا افرقف
ويسوقه للجاهلين بقدره * ذوقا وكيف يذوق من لم يعرف
أترى من الانصاف أن عاف الجنى * ترف وقصر عنه حال المدنف
لاريب أن هذا الكتاب هو الجنى * من حال عنه فحظلا المنقف

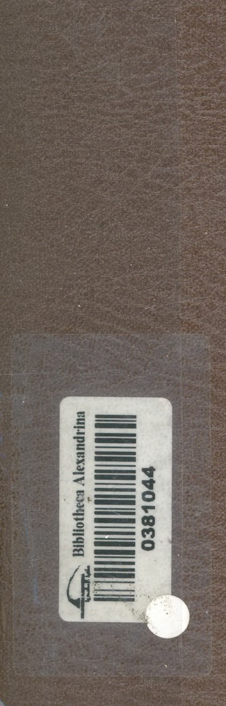
من ثم أفرغ وسعه فى طبعه * منصور رأى للمكارم مقتفى
بعلة الطبع التى نظرت لها * نظر الاصابة عين ناظرها الحفى
فوفى بحق الشكر للشهم الذى * مصر به تختال فى الترف الوفى
الداورى أبى الفداء ولو فديـ * ـناه بانفسنا حرصنا أن نفى
فالله يبقيه العزيز وآله * قوم لضبط الملك جمعهم اصطفى
يا كم له منن ومن غراتها * هذا الكتاب قطاف من لم يقطف
فاسعد وساعدنى على تاريخه * طبع افاد طرائف المستطرف

٨٢٠ ٣٠٠ ٨٦ ٨١ ٥

سنة ١٢٩٢

وكان هذا الطبع الجميل بادارة صاحب الفطنة الذكيه والآراء الصائبة والاخلاق الزكيه من عن رياسته مهمات الامور لا تستغنى حضرة مدير المطبعة والكاغدخانه حسين بك حسنى كذلك وكل الى نظر وكيله السالك جادة سبيله من عليه لسان الصدق يثنى حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة ذى المساعى الحسنة والعود الاحمد جناب أبى العينين أفندى أحمد وقد نيط امر تصحيحه الى رياسة الاستاذ الامثل والهمام الفيصل من بنور أعلامه وضحت الى الفضل طريق مولانا الشيخ ابراهيم الدسوقى وتم طبعه فى منتصف رمضان الذى انزل فيه القرآن من عام التاريخ المنتظم من هجرة سيد العرب والعجم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل منتم اليه ما اكثر مفاخر ولحق بالاول الآخر
آمين




Bibliotheca Alexandrina
03381044